وسائل الاحتياط للمعنى النصي
دراسة دلالية في ديوان عنترة العبسي

دكتورة/ عبد الله علي أبوشبانة خلف
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية التربية – جامعة المنصورة

تقديم:

إن الهدف الرئيسي للغة هو نقل المعاني من المتكلم إلى السامع، أو من الكاتب إلى القارئ. ومن ثم فإن المعنى يمثل مكانة كبيرة في اللغة؛ لأنه أساس عملية التخاطب بين البشر، وكل قول يصبح غير مفيد مالم يشر إلى معنى، لذا فقد اهتم علماء العربية بتفسير ألفاظ اللغة وتوضيح معانيها في الكلام، وقد ظهر هذا الاهتمام منذ زمن الخليل وسيبويه، فقد كان سيبويه" يحرص الحرص كله على أن يصحح المعنى قبل أن يصحح الإعراب، وكانت عنايته بالمعنى قبل عنايته باللفظ، ولو تعارض أقوى الرأيين إعرابا مع المعنى الذي يقتضيه الحال، رجع إلى الأقوى مادام المعنى يأتلف به ويطرد معه"[١].

وجدير بالذكر أن المعنى المقصود هنا ليس للكلمات مفردة، بل للعبارات والجمل أيضاً. وقد خصص سيبويه في كتابه أبواباً لدراسة المعنى والدلالة، وطرح قضايا المعنى والدلالة طرحاً مباشراً، ومن هذه الأبواب: باب الاستقامة والإحالة في الكلام، وفيه يقسم الكلام إلى:" مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"[٢]. والنصوص اللغوية شعراً كانت أو نثراً لا تستقيم إلا بمعرفة ما تشير إليه من معانٍ، لذلك اهتم المبدعون بإبراز معاني النصوص وتوضيحها بكل ما أوتوا من وسائل، وهم في سبيل إبرازهم للمعاني وتوضيحها يحتاطون ويحترزون

(١) د. عبد العزيز أبوعبدالله، المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، ٣٠٦/١، منشورات الكتاب والتوزيع، طرابلس، ط١، ١٣٩١هـ –١٩٨٢م.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٢٥/١–٢٦، تحقيق: أ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

باستعمال وسائل يوفرها لهم النظام اللغوي، تمكنهم من الاحتياط [1] الذي يجعل المبدع مطمئناً إلى إيصال المعنى للمتلقي بالصورة التي أرادها.

وقد خصص ابن جني باباً في خصائصه تناول فيه وسائل الاحتياط للمعنى، أسماه: باب في الاحتياط، ذكر في مطلعه:" اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته، واحتاطت له. فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين: أحدهما: تكرير الأول بلفظه... والثاني: تكرير الأول بمعناه...ومن ذلك الاحتياط في التأنيث...ومنه الاحتياط في إشباع معنى الصفة...ومنه قولهم: لم يقم زيد، جاءوا فيه بلفظ المضارع وإن كان معناه المضي...وكذا قولهم: إنْ قمتَ قمتُ، فيجيء بلفظ الماضي والمعنى المضارع... ومن الاحتياط إعادة العامل في العطف والبدل، فالعطف نحو: مررت بزيدٍ وبعمرو، فهذا أوكد معنى من قولك: مررت بزيد وعمرو، والبدل بقولك: مررتُ بقومك بأكثرهم، فهذا أوكد معنى من قولك: مررتُ بقومك أكثرهم، ووجوه الاحتياط في الكلام كثيرة، وهذا طريقها فتنبه عليها"[2].

كما عقد د. فاضل السامرائي في كتابه: الجملة العربية والمعنى باباً سمَّاه: الاحتياط للمعنى [3]، صدَّره بقوله:" إن العرب إذا أرادت تثبيت معنى من المعاني وأرادت تمكينه في النفس احتاطت له، واحتاطت في تثبيته والتمكين له وإحاطته بسياج يمنع المخاطَب من أن يقع في الوهم أو أنْ ينصرف ذهنُه إلى معنى آخر، أو أن ينوب عليه شيء من المعنى"[4]. وقد فصَّل القول في طرق الاحتياط للمعنى على نحو ما ذكره ابن جني في الخصائص وزاد عليه، مستشهداً على كل طريقة بشواهد من الذكر الحكيم.

---

(1)الاحتياط في اللغة مأخوذ من قولهم: احتاط الرجلُ: أخذ في أموره بالأحْزم، واحتاط الرجلُ لنفسِه؛ أي: أخذ بالثقة. والحَوْطَةُ والحَيْطَةُ: الاحْتِيَاطُ. وحاطَهُ الله حوطاً وحياطةً، والاسمُ الحِيطَةُ والحَيْطَةُ؛ أي: صانه وكلأه ورعاه. والحائط: الجدار؛ لأنه يحوط ما فيه، والجمع: حيطان. وأحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كلِّه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللهِ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾. لسان العرب، مادة ح و ط.

(2) ابن جني: أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)،الخصائص، ١٠١/٣- ١١١، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م.

(3) د. فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص١٤٢- ١٦٢، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(4) السابق، ص١٤٢.

ويهدف هذا البحث إلى:

- الوقوف على أنماط الاحتياط للمعنى التي وردت في ديوان عنترة بن شداد.
- بيان أهم الخصائص النحوية والدلالية لوسائل الاحتياط للمعاني الواردة في شعر عنترة.

وتكمن أهمية البحث في:

- يجمع البحث بين الدرس النظري والدرس التطبيقي معتمداً على ديوانٍ شعريٍ من العصر الجاهلي، والشعر الجاهلي مصدر من مصادر اللغة.
- يعتبر موضوع الاحتياط من أهم موضوعات دراسة المعنى.
- تنوع صور الاحتياط للمعنى في شعر عنترة.

أما عن المنهج المستخدم في البحث:

فيمكن القول: إن طبيعة البحث اقتضت أن يستعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فأقوم بتحديد الشاهد كما ورد في ديوان عنترة، ووصفه وصفاً تاماً وإبراز معناه، وبيان ما به من وسائل احتياط للمعنى، ثم أتناوله بالتحليل في ضوء ما ورد في كتب اللغويين من جهة وما تقتضيه دلالة البيت في سياقه من جهة ثانية.

وقد وقع اختياري لديوان عنترة دون غيره من الدواوين للأسباب الآتية:

- لغة الشعر عند عنترة لغة عالية المقام، يدل على ذلك استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم لشعره؛ إذ قال:" ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببت أن أراه إلا عنترة"[1]، وذلك لمَّا سمع الرسول ﷺ قول عنترة:

وَلَقَدْ أَبِيْتُ عَلَى الطَّوَى فَأَظَلُّهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

- يقوم شعر عنترة على استعمال قوالب لغوية تتلاءم مع أنظمة اللغة وقواعدها.
- حظي شعر عنترة باستشهاد النحاة به.
- يغلب على شعر عنترة استعمال المفردات السهلة المألوفة، ومن ثم لا يجد الباحث صعوبة في فهم أشعاره.
- تميز شعر عنترة بحسن التصرف في مفردات اللغة وتطويعها للفكرة.

---

(1) الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ) ، الأغاني، ٢٤٣/٨، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٠م.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، ثم ثبت بالمراجع.

أما المقدمة فتناولت فيها الاحتياط في العربية وأهميته في بيان المعنى، وذكرت ما بدا لي في الحقل اللغوي من دراسات في وسائل الاحتياط للمعنى، ثم تحدثت عن أهداف البحث وأهميته، وعن المنهج المستخدم في البحث، وعن أسباب اختيار ديوان عنترة دون غيره من الدواوين الشعرية.

أما المبحث الأول، فعنوانه: الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر، وتناولت فيه: الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتفخيم والتعظيم، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتهديد والوعيد، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ لإزالة اللبس، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتقرير والتوكيد، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ لإدخال المهابة والخوف في نفس المخاطَب، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتحقير من شأن المذكور نفسه، والاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتلذذ بذكره.

أما المبحث الثاني، فكان عنوانه: الاحتياط للمعنى النصي من خلال النصِّ على الوجه الإعرابي، وتناولت فيه: الاحتياط للمعنى النصي بالإعراب عن طريق حذف المبتدأ أو حذف الخبر، الاحتياط للمعنى النصي بالإعراب عن طريق ذكر البدل المطابق، الاحتياط للمعنى النصي بالإعراب عن طريق ذكر الحال مفرداً كان أو جملةً، الاحتياط للمعنى النصي بالإعراب عن طريق ذكر المفعول معه. الاحتياط للمعنى النصي بالإعراب عن طريق ذكر اللام المقحمة بين المتضايفين.

وتناولت في المبحث الثالث: الاحتياط للمعنى النصي بأساليب توكيد متنوعة، ومنها: الاحتياط للمعنى النصي بالتوكيد المعنوي، والاحتياط للمعنى النصي بالتوكيد الفظي، والاحتياط للمعنى النصي بالمفعول المطلق المؤكِّد لعامله، والاحتياط للمعنى النصي باستعمال التراكيب المتضادة، والاحتياط للمعنى النصي باستعمال الحروف المؤكدة؛ نحو: إنَّ، وأنَّ، وقد، ولقد، ونون التوكيد الثقيلة ونون التوكيد الخفيفة، والاحتياط للمعنى النصي عن طريق ذكر حرف الباء الزائد قصداً للتوكيد.

وأردفت ذلك بخاتمة توضح أهم النتائج، ثم ثبت بمراجع البحث.

المبحث الأول: الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر

يشير مصطلح (الظاهر) في عنوان هذا المبحث إلى التصريح بالاسم، بينما يشير مصطلح (المضمر) إلى الكناية عن هذا الاسم، والعرب إذا أرادت " العناية بذكر الاسم الظاهر وبيان أن الحكم مُعَلَّقٌ به ذَكَرَتْهُ وأَعَادَتْ ذِكْرَه احتياطاً للمعنى، وذلك أنَّه إذا ذُكِرَ الاسمُ ثمَّ جاء بعده كلام فقد يكون المخاطب لم يسمع الاسم أو ينصرف ذهنه إلى غيره، فتحتاط لذلك بأن تكرره، لتقوية المعنى وتثبيته، وإزالة اللبس عنه، ورفع احتمال التوهم فيه "[1]. فالأصل في لغة العرب أن يأتي الاسم في الكلام ظاهراً، وإذا أردتْ ذكر هذا الاسم مرة أخرى أتيت به مضمرا استغناء عنه بالظاهر السابق، غير أنه قد يرد في سياق الكلام ما يدفع إلى الخروج عنه، فيعاد ذكر الاسم ظاهراً دون إضمار.

قال الزركشي: " واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل إنه إذا ذكر ثانيًا أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق، كما أن الأصل في الأسماء الإعراب، وفى الأفعال البناء..."[2]، وقد ساق الزركشي أسبابًا عديدة للخروج على خلاف الأصل، أي بإعادة ذكر الاسم الظاهر دون المضمر، منها [3]: قصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، والتلذذ بذكره، وزيادة التقدير، وإزالة اللبس خصوصًا إذا كان الضمير يوهم أنَّه غير المراد، وتربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع. وقد تعددت صور الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر في ديوان عنترة، وتعددت أسبابها كذلك، ويمكن العرض لها على النحو التالي:

١ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتفخيم والتعظيم:

ويمكن التمثيل لهذا النوع بقول الشاعر [4]:

لِغَيْرِ الْعُلَى مِنِّي الْقِلَى وَالتَّجَنُّبُ وَلَوْلا الْعُلَى مَا كُنْتُ فِي الْعَيْشِ أَرْغَبُ

([1]) د. فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص ١٤٣.

([2]) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ٤٨٤/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

([3]) ينظر: السابق ٢ / ٤٨٤ – ٤٩٨.

([4])التبريزي، زكريا يحيى بن علي (ت ٥٢٠هـ): شرح ديوان عنترة،، ص٢٦، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

ففي هذا البيت يبين عنترة أنه لا يبتغى غير العلى، وأي شيء غيره يبغضه ويتجنبه، بل لولاه ما رغب في العيش، وقد كرر كلمة (العلى) في الشطر الثاني من البيت، وكان باستطاعته الإحالة إليها باستعمال الضمير، فيقول: ولولاه ما كنت في العيش أرغب، لكنه احتاط للمعنى الذي يريده بإعادة ذكر الاسم الظاهر من باب التفخيم والتعظيم لما يريده في حياته، ويحضرني هنا إشارة لطيفة للدكتور حماسة، يقول فيها:" والأمور التي ينبغي أنْ تُلاحظَ وترصد هي: اختيار الشاعر للكلمات المعينة والصيغ الخاصة بها والوظائف النحوية التي تشغلها، ويلاحظ في ذلك كله الكيفية التي وردت بها في الجملة ومحاولة التعليل لهذا. فلماذا اختار الشاعر هذه الكيفية، وما علاقة ذلك بالغرض الذي سيقت له؟ أو ما الغرض منها؟ وهل يتلاءم ذلك مع السياق الذي وردت فيه أو يعارضه؟ وما دلالة هذا التلاؤم أو هذا التعارض في البناء الكلى للقصيدة؟"(١).

ويلاحظ في البيت السابق أن الشاعر أعاد ذكر الاسم في الشطر الثاني بلفظه الوارد به في الشطر الأول دونما تغيير وهذا أمر حسن في لغة العرب، إذ لو كرره بغير لفظه لكان مستقبحًا مستهجنًا، وكان الأولى حينئذٍ أن يحيل إليه بضميره لا بغير لفظه.

يقول ابن جنى: "ومن ذلك قوله:

إذَا المرءُ لَمْ يَخْشَ الكَرِيهَةَ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الهُوَيْنَى بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَّعَا

وهذا عندهم قبيح، وهو إعادة الثاني مظهرا بغير لفظه الأول، وإنما سبيله أن يأتي مضمراً، نحو: زيد مررت به، فإن لم يأت مضمراً وجاء مظهراً فأجود ذلك أن يعاد لفظ الأول ألبتة، نحو: زيد مررت بزيد، كقول الله سبحانه:﴿ **الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ** ﴾،﴿ **الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ** ﴾ وقوله:

لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى والْفَقِيْرَا"(٢).

٢ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتهديد والوعيد:

ويمكن التمثيل لهذا النوع بقول عنترة (٣):

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَالأَيَّامُ تَتَقَلَّبُ

---

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر، ص ٣٣، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) الخصائص، ٣٥٣/٣.

(٣) الديوان، ص٢٥.

اليَوْمَ تَعْلَـمُ يَـا نُعْمَـانُ أَيَّ فَتَـــىً يَلْقَــى أَخَــاكَ الَّــذِي قَــدْ غَــرَّهُ العَــصَبُ

فالشاعر في هذين البيتين يخاطب النعمان بن المنذر مبيناً له أنَّه إذا كانت يدَه قد قصرت فيما مضى عنهم، فإنَّه قد حان وقت اللحاق بهم وسيعلمون قوته مهما كانت عصبتهم وجماعتهم، وقد كرر اسم المخاطب في البيت الثاني احتياطًا لمعنى أراده، وهو توعدهم وقت النزال والمواجهة والحط منهم، وكان بإمكانه أن يترك ذكره في البيت الثاني مكتفيًا بما ذكره في البيت الأول، ولكن حتى لا يظن ظانٌّ أنه أراد شخصا آخر فكرر الاسم نفسه دون الإشارة إليه بضميره.

ولا يخفى علينا قيمة تكرار الاسم دلالياً، إذ يسهم في تماسك النص، ونظير ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ (النور: ٢١) وقوله تعالى:﴿ **أُولَـئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ** ﴾ (المجادلة: ١٩) [١]. ويلاحظ في الشاهد الشعري المذكور أن الاسم المعاد ذكره وقع في جملة أخرى غير الجملة التي ورد فيها الاسم الأول، وهو أمر مستحسن عند النحاة.

قال السيرافي:" اعلم أنَّ الاسم الظاهر متى اُحْتِيج إلى تكريره في جملة واحدة، كان الاختيار ذكر ضميره، نحو: زيد ضربته، وزيد ضربت أباه، وزيد مررت به. ويجوز إعادة لفظه بعينه في موضع كنايته، أمَّا إذا أعدت لفظه في جملة أخرى فذلك جائز حسن، نحو قوله تعالى:﴿ **لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّـهِ اللَّـهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٢].

٣ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ لإزالة اللبس:

قد يكون الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر هدفه إزالة اللبس والغموض من الكلام، وخصوصاً إذا كان التصريح بالضمير يوهم أنه غير المراد.

ويمكن التمثيل لذلك من شعر عنترة بقوله [٣]:

وللحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا وَلَكنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٤٨٦/٢.

(٢) الكتاب ٦٢/١ (هامش).

(٣) الديوان، ص٢٦.

فكرر الشاعر كلمة (الحلم) في الشطر الثاني، وكان باستطاعته أن يقول: ولكن أوقاتي إليه أقرب، لكن المخاطب قد يظن مع وجود الضمير أنه عائد إلى أقرب مذكور، وهو (الجهل) وحتى لا يلتبس الأمر على المخاطب، فقد احتاط الشاعر لذلك بتكرار اللفظ نفسه، وجدير بالذكر أن الجهل هنا ليس مقابلا لكلمة العلم (كما يعتاد الناس في ذكر معناه) وإنما يشير إلى معنى الإغلاظ في القول، والحمق والحدة، ومن ثم كان مقابلاً للحِلْم في البيت المذكور.

٤ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتقرير والتأكيد:

قد يكون الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر في ديوان عنترة الغرض من التقرير والتأكيد على معنى يريده الشاعر دون غيره، ومن ذلك قوله [١]:

لَئِنْ تَكُ كَفِّي مَا تُطَاوِعُ بَاعَهَا فَلِي فِي وَرَاءِ الْكَفِّ قَلْبٌ مُذَرَّبُ

كرر الشاعر في الشطر الثاني من البيت كلمة (الكف) وهو تكرار احتاط به لمعنى التقرير والتوكيد الذي يريده، إذ كان بإمكانه ألا يكرره متكفيًا بالقول:(فلي في ورائه)، مستغنيًا بالضمير عن ذكر الاسم الظاهر مرةً ثانيةً، لكنَّ التعبير بالضمير ينتفى معه ما يريده الشاعر من الدلالة على التقرير والتأكيد، ومن ثمَّ احتاط للدلالة على هذا المعنى بتكرار الظاهر (الكف) فكان أمكن وأثبت، خصوصاً على مستوى العلاقات الأفقية في القصيدة، أو ما يسميه د. محمد حماسة بالمعاني النحوية الأفقية للقصيدة، وهذا التحليل يدفعني إلى القول بأن عنترة كان يقصد ما يقوله من الألفاظ قصداً في المكان الذي ورد فيه، ولم يكن ورود الكلمات والجمل عنده مجرد قوالب مرصوصة، وإنما لتؤدي معانيَ مخصوصة، وهذا القول يتفق مع ما عُرف سلفاً من أن " المبدع يتعامل مع لغته تعاملاً انتقائيًا، سواء كان ذلك في دائرة المفردات أو في دائرة التراكيب"[٢]، إضافة إلى ذلك فإنَّ:" أعراف اللغةِ تضعُ أمام المبدع جملةً من الاحتمالات لقول الشَّيءِ نفسه بطريقةٍ صحيحة، وعليه أنْ ينتقيَ من هذه الاحتمالات أوفرها دقةً وأكثرها مواءمةً للسياق ولبنية العمل ككل، وفى هذه المواءمة، كثيرًا ما ينتقل باللغة الشعرية من مستوى الصحة الذي تفرضه الأعرافُ اللغويةُ إلى مستوى الجمالِ الذي يفترضُه الأسلوبُ الأدبيُ، كما أنَّ في مبدأ الاختيار الذي يعتمد عليه ما

(١) الديوان، ص٢٦.

(٢) د. محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النص، ص ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٧م.

يمنحُ دارسَ العملِ الشعري مساحةً عريضةً يتحركُ فيها؛ لكي يحدثَنَا عن سرِّ هذا الاختيارِ وطبيعتِه، ووظيفتِه"[١].

ومن الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتقرير والتأكيد قول عنترة [٢]:

فَكَأَنَّ الزَّمَانَ يَهْوَى حَبِيْباً وَكَأَنِّي عَلَى الزَّمَانِ رَقِيْبُ

فقد كرر الشاعر كلمة (الزمان) في الشطر الثاني من البيت احتياطاً للمعنى المراد وتثبيتاً له، وهو معنى التقرير والتوكيد، إذ كان باستطاعته ألا يكرره، ويقول: وكأني عليه رقيب، بالإتيان بالضمير، غير أن الإتيان بالمضمر دون المظهر هنا لا يؤدي إلى تثبيت المعنى في ذهن المخاطب، وربما التبس على المخاطب – أيضا – عود الضمير على أقرب مظهر له وهو كلمة (حبيب)؛ لذا احتاط للمعنى الذي يريده بتكرار الاسم المظهر دون المضمر، ومن ثم فإنَّ ما قام به الشاعر في البناء اللغوي لقصيدته لا يمكن أن يكون" عبثا، ولكنَّه يُجْرِي أثناء بناءِ قصيدته موازنةً دقيقةً بين عدد من التراكيب، ويكون في ذهنه عددٌ من البدائل اللغوية وأنماطٌ متعددةٌ من التراكيب، وفى النهاية يختار منها جميعًا ما يرتضيه ويقدمه في قصيدته، فهو يعني ما يقول، ويقصده على الهيئة التي جاء بها في مواءمةٍ فذَّةٍ بين النظام اللغوي والإبداع الشعري الخاص"[٣]، وفي هذا كله دليلٌ على أنَّ الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر لم يكن من باب الضرورة الشعرية التي يلجأ لها الشاعر لإقامة الوزن العروضي لأبياته، بل هو من خصائص لغة الشعر عند عنترة.

ومن الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر للتقرير والتوكيد قول الشاعر [٤]:

وَلَا مَالَ إِلَّا مَا أَفَادَكَ نَيْلُهُ ثَنَاءً وَلَا مَالٌ لِمَنْ مَا لَهُ مَجْدُ

---

(١) د. محمد فتوح أحمد، جدليات النص، ص ٥٢، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني والعشرون، العددان الثالث والرابع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.

(٢) الديوان، ص٢٧.

(٣) د. محمد حماسة، بناء الجملة العربية، ص ٢٥٠، مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

(٤) الديوان، ص٥٥.

فقد كرر الشاعر كلمة (مال) في الشطر الثاني من البيت بعدما سبق له ذكرها في الشطر الأول، وذلك احتياطا للمعنى الذي يريد تقريره وتوكيده، وهو أن المال لا قيمة له إن لم يصنع لصاحبه مجداً وثناءً، وكان باستطاعة الشاعر أن يستغني عن الاسم الظاهر في الشطر الثاني (مال) بما يعود عليه من ضمير، فيقول: ولا هو لمن ماله مجد، لكن هذا الإضمار لن يبلغه المعنى المراد الذي يريد تقريره وتوكيده، وربما التبس على المخاطب أمر الضمير، فظن أنه يعود على الأقرب ذكرًا وهو كلمة (ثناء)، لذلك كله احتاط الشاعر، فأعاد ذكر الاسم الظاهر دون ضميره.

ومن الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر للتقرير والتوكيد قول الشاعر[١]:

يَا عبْلَ! كَمْ مِنْ جَحْفَلٍ فَرَّقْتُهُ والْجَوُّ أَسْوَدُ وَالْجِبَالُ تَمِيْدُ
فَسَطَا عليَّ الدَّهْرُ سَطْوَةَ غَادِرٍ والدَّهْرُ يَبْخَلُ تَارَةً وَيَجُودُ

فكرر الشاعر كلمة (الدَّهر) في الشطر الثاني من البيت الثاني محتاطا بها للمعنى الذي يريد تقريره وتوكيده، وهو أن الدَّهر لا يستقر على حالٍ مع الناس، فقد يجود عليهم مرة ويبخل عليهم أخرى، وقد كان باستطاعة الشاعر أن يستعمل ضمير الغائب المفرد العائد على كلمة الدهر، فيقول في الشطر الثاني من البيت الثاني: وهو يبخل تارة ويجود، غير أنه بحس الشاعر المجيد أدرك أن التعبير بالمضمر لا يفي بالمعنى المراد، فقرر أن يستعمل الاسم المظهر، وفي هذا " جهد خفي لا يعانيه إلا الشاعر وحده، غير أن الذي يَظْهَرُ لنا في النهاية هو البناء اللغوي للقصيدة على الوجه الذي قرر الشاعر أنْ تَظْهَرَ عليه، سواء رضي النَّاسُ عنه أو سخطوا عليه، ولو سُئل الشاعر نفسه أن توضع له كلمة أخرى لما رضي بما جاء به بديلا، وقد لا يستطيع تعليل ذلك، وليس ذلك مطلوبا منه على كل حال "[٢] فاختيار الشاعر للاسم الظاهر دون ضميره لا يكون اعتباطا وإنما عن قصد ودراية لأداء معنى يريده ويهدف إليه.

---

(١) الديوان، ص٥٦.

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص ٢٥٠.

٥ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ لإدخال المهابة والخوف في ضمير المخاطب:

قد يكون الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر، لإدخال المهابة وترويع المستمع، " كما يقول الخليفة لمن يأمره بأمر: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، مكان: أنا آمرك بكذا... وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّـــهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ (النساء: ٥٨)" [١].

وقد ورد هذا النوع من الاحتياط في ديوان عنترة، وذلك قوله [٢]:

خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيْدِ أَشَدُّ قَلْباً وَقَدْ بَلِيَ الْحَدِيْدُ وَمَا بَلِيتُ

فكرر الشاعر كلمة الحديد في الشطر الثاني من البيت احتياطا للمعنى المراد، وهو إدخال المهابة والخوف في قلب المخاطب، فإن كان الحديد – وهو من أشد المعادن صلابةً – يبلى، فإن قلبه لا يبلى، وفى إعادة الاسم الظاهر دون ضميره إبراز لقوة الشاعر، وقد كان باستطاعته التعبير بالمضمر دون المظهر في البيت السابق، غير أنه أدرك أن الإتيان بالضمير لن يؤدي المعنى المراد، فاحتاط لذلك بذكر الاسم الظاهر، ولما كان الأمر كذلك، فإنه يمكن القول: إن الشاعر يبذل جهدا مضنيًا في التنقيب عن الكلمات المناسبة التي يحتاط بها للمعاني التي يريدها، ويبدو كأنه " ينقب عن الكلمة الملائمة بين ركام التراكيب الجاهزة، وأكوام الألفاظ المتقاربة في الظاهر، حتى يصل إلى كلمة بعينها، يشعر أنها تحقق له ما يريد بالضبط، وعناد الكلمة وتَأَبِّيْهَا ومراوغتها أمرٌ يعرفه كل من مارس الكتابة الأدبية "[٣].

ومن ثم فإن الاختيار الصحيح للكلمات يسهم في تمكين البناء النحوي من التوافق مع النسج الشعرى، ليأتي المعنى على النحو الذي يريده المبدع.

ومن الشواهد التي ورد فيها احتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر؛ لإدخال المهابة والخوف في نفس المخاطب قول عنترة [٤]:

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٤٩٠/٢.

(٢) الديوان، ص٣٨.

(٣) د. جابر عصفور، مفهوم الشعر " دراسة في التراث النقدي "، ص ٢٧٩، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

(٤) الديوان، ص ٥٢.

تَرَكْـــتُ جُرَيَّـــةَ الْعَمْـــرِيَ فيـــهِ شَـــدِيْدُ العِيْـــرِ مُعْتَـــدِلٌ سَـــدِيْدُ
إِذَا تَقَـــعُ الرِّمَـــاحُ بِجَانِبَيْـــهِ تَـــوَلَّى قَابِعـــاً فِيـــهِ صُـــدُودُ
فَـــإِنْ يَبْـــرَأْ فَلَـــمْ أَنْفُـــثْ عَلَيْـــهِ وَإِنْ يَفْقَـــدْ فَحَـــقَّ لَـــهُ الفُقُـــودُ
وَهَـــلْ يَـــدْرِي جُرَيَّـــةُ أَنَّ نَبْلِـــي يَكُـــونُ جَفِيرَهَـــا الْبَطَـــلُ النَّجِيْـــدُ

يلاحظ أن الشاعر في البيت الرابع كرر كلمة **(جُرَيَّـــة)** وهو اسم رجل من بني عمرو بن الهجيم، احتياطاً لمعنى أراده، وهو إنزال الخوف في قلوب أفراد قبيلة عمرو، وكان باستطاعة الشاعر أن يعبر عن الاسم المظهر بالضمير كما حدث في البيت السابق له، فقال: فإن يبرأ، أي: جرية، فلم يُعِدْهُ مظهرا وإنما عبَّر عنه بضمير الغائب المستتر؛ لأنَّ المقام ليس مقام تخويف أو إنزال مهابة في نفس عدو، وإنما مقام حكاية عن حال عمرو بن الجهيم، ولكن في البيت الرابع لمَّا كان المقام يحتاج إلى إدخال المهابة في نفس عدوه، أعاد الظاهر بنفسه دون المضمر، وهنا يمكنني الاستئناس بقول القائل: " إننا حين نقرأ اللغة وموادها قراءة شاعرية، أو حين نتأمل صياغتها ونظمها وطريقة تأليفها تأملاً يفيد في توضيح جمالياتها، لا نستطيع أن نتغاضى عن هذا النسيج المبهم من الإيحاءات الأدبية، والمواقف الرمزية، أو نتجاهل هذه المزايا الموضعية التي تتأتى في مقام دون مقام، أو تعرض في كلام دون كلام "[1] فاحتياط الشاعر لمعنى معين يدفعه لاختيار ألفاظ دون غيرها.

٦ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتحقير من شأن المذكور:

قد يُحتاط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على التحقير من شأن المذكور، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾(النور: ٢١) وقوله تعالى:﴿ **أُولَـئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ** ﴾(المجادلة: ١٩) وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ**

(1) د. تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٢٦ دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٩٨٣م.

كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣)[١]. وقد ورد هذا النوع من الاحتياط للمعنى في ديوان عنترة في قوله [٢]:

قُلْتُ مَنِ الْقَومُ قَالُوا سَفَرَهْ وَالْقَوْمُ كَعْبٌ يَبْتَغُونَ الْمُنْكَرَهْ

فعنترة يسهر على حراسة قومه وهم نزول على بني كعبٍ وقد توقع من بني كعبٍ الغدرَ، فلما أبصرهم، سألهم: مَنْ أنتم؟ فقالوا: نحن قوم مسافرون، في حين أنهم كانوا من بني كعب ويريدون الغدر ببني عبس قبيلة عنترة، وقد كرر الشاعر لفظ (القوم) في الشطر الثاني من البيت وكان باستطاعته أن يعبر بالضمير، فيقول: وهم يبتغون المنكره، لكنه لمَّا أراد أن يعبر عن معنى التحقير وذلك لنقضهم العهد ومحاولتهم الغدر بأضيافهم من بني عبس، لمَّا كان الأمر كذلك – عدل عن الضمير إلى الظاهر احتياطاً للمعنى المراد، وقد زاد عنترة بعد أن فطن لخداعهم وحقر من شأنهم فخاطبهم محذراً:

تَعَلَّمِي يَا كَعْبُ وَامْشِي مُبْصِرَهْ ثُمَّ ارْهَبِي مِنِّي وَكُونِي حَذِرَهْ

و يحضرني هنا قول د. تامر سلوم:" إن التحليل النحوي الجمالي يعني أن الظاهرة النحوية ليست أداةً أو صورةً محسنة، ليست زينةً أو طلاءً أو تلويناً، وإنما هي خالقةٌ لمعناها، هي موقفٌ حيٌّ يتفاعل باستمرار مع المواقف الأخرى التي يتضمنها السياق، وتفاعلها هذا هو ما نعنيه بعبارة تفاعل الدلالات أو فاعلية النحو أو نظام الرمز، ومن ثم تصبح فكرة التحليل الجمالي التي تنطوي في داخلها على مبدأ تفاعل الدلالات نشاطًا خاصًا في عملية المعنى أو في خلق اللغة، يصعب صياغته في تعبيراتٍ منطقية أو قياسية على نظام عقلي قاس مكرر"[٣].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ص ٤٨٦/٢.

(٢) الديوان، ص ٧٣.

(٣) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٤٥.

٧ – الاحتياط للمعنى النصي بوضع الظاهر موضع المضمر؛ للتلذذ بذكره:

قد يحتاط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر، للتلذذ بذكر المظهر، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾(الإسراء: ١٠٥) إن كان الحق الثاني هو الأول، وقوله:﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** ﴾(فاطر: ١٠) [١].

وقد وَرَدَ هذا النوع من الاحتياط للمعنى في ديوان عنترة في مواضع منها [٢]:

وبَـيْنَ ثَنَايَاهَـا إِذَا مَـا تَبَـسَّمَتْ مُـدِيرُ مُـدامٍ يَمْـزُجُ الـرَّاحَ بِالـشَّهْدِ

شَكَا نَحْرُهَـا مِـنْ عِقْـدِهَا مُتَظَلِّمـاً فَوَاحَرَبَـا مِـنْ ذَلِـكَ النَّحْـرِ وَالْعِقْـدِ

فالشاعر هنا في موقف يصف فيه مفاتن محبوبته، وهو في البيت الثاني يذكر جمال نحرها لدرجة أن عقدها شكا هذا الجمال، ولما كان الأمر كذلك كرر كلمة (النحر) في الشطر الثاني من البيت الثاني احتياطاً لمعنى يقصده وينصُّ عليه وهو إظهار جمال النحر والتلذذ بذكره، وقد كان باستطاعته أن يعبر عن الاسم الظاهر (النحر) بضميره، فيقول: فواحربا منه والعقد، لكنه عدل عن التصريح بالضمير إلى ذكر الاسم الظاهر تلذذاً بذكر الظاهر، وكأني بالشاعر يحاول أن يُشْرِكَ القارئ معه في التلذذ بنحر محبوبته على النحو الذي وصفه به، ومعنى هذا " أن الكاتب لا يكتب عن نصٍّ إلا إذا وقع في فتنته، والنص الجيد ينصب شراكا لقرائه، ويدعوهم إلى الافتتان به، وإذن الكتابة عن النصِّ تعبيرٌ عن الفتنة به والوقوع في أسر محبته، وليست كل كتابة عن النصِّ استجابةً لهذه الفتنة، ولكن الكتابة التي أعنيها هي الكتابةُ المتمحصةُ للتعبير عن هذه العلاقة الحميمة بين النصِّ وقارئه"[٣].

ومن الاحتياط للمعنى بذكر الظاهر دون المضمر للتلذذ بذكر المظهر قـول عنترة [٤]:

يَا عَبْلَ إِنَّ هَـواكِ قَـدْ جَـازَ الْمَـدَى وَأَنَا الْمُعَنَّـى فِيْـكِ مِـنْ دُوْنِ الْـوَرَى

يَا عَبْلَ! حُبُّكِ فِيْ عِظَامِـي مَعَ دَمِي لَمَّا جَرَتْ رُوحِي بِجِسْمِي قَـدْ جَرَى

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٤٨٧/٢.

(٢) الديوان، ص٦١.

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف، فتنة النص، ص ٧ – ٨، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٤) الديوان، ص٧٢.

فالشاعر يتحدث عن عشقه لمحبوبته عبلة، ويخبرنا أن حبَّها يجري في جسده كما يجري الدم فيه، وهو في سبيل تلذذه بذكر محبوبته، كرر الاسم الظاهر (عبل) في مطلع البيت الثاني محتاطا للمعنى الذي يريده، ولما كان الشاعر يريد أن يشرك المتلقي لشعره في هذا المعنى، فقد ركز عليه وسلط الضوء في القصيدة تجاهه بإعادة ذكره دون مضمره، فقدم الدليل اللغوي على ما يراه ويشعر به (تكرار اسم المحبوبة) ، وفى هذا المعنى يذكر د. محمد حماسة: " وقد يتفق متلقو الشعر على مرتكز ضوئيٍّ واحدٍ في القصيدة، وقد يرى كل منهم مرتكزاً ضوئيًا غير الذي يراه الآخر، المهم في ذلك كله أن يقدم كلٌّ منهم الدليل اللغوي على ما يراه، ويبين قدرة مرتكزه المختار على الكشف والإنارة، ومهمة المرتكز الضوئي إذا كان هناك توفيق في اختياره من القصيدة، تكمن في أن كل عناصر القصيدة قد تفسر من خلاله سلبًا أو إيجابًا، أو سلبًا وإيجابًا معاً، وتمرداً أو استجابة، أو تمرداً واستجابة معًا، فهو إذن مجهر يكبِّرُ الإشارات الصغيرة ويسلكها في نظام العمل كله بالتفافها حوله"[1].

ومن الاحتياط للمعنى بذكر الظاهر موضع المضمر، للتلذذ بذكره قول عنترة [2]:

يَـــا عَبْـــلَ! نَـــارُ الْغَـــرَامِ فِـــيْ كَبِـــدِي ... تَرْمِـــي فُـــؤَادِي بِأَسْـــهُمِ الـــشَّرَرِ
يَـــا عَبْـــلَ! لَوْلَـــا الخَيَـــالُ يَطْرُقُنِـــي ... قَـــضَيْتُ لَيْلِـــي بِـــالنَّوْحِ وَالـــسَّهَرِ
يَـــا عَبْـــلَ! كَـــمْ فِتْنَـــةٍ بُلِيـــتُ بِهَـــا ... وَخُـــضْتُهَا بِالْمُهَنَّـــدِ الـــذَّكَرِ
أُدَافِـــعُ الْحَادِثَـــاتِ فِيْـــكِ وَلَـــا ... أُطِيْـــقُ دَفْـــعَ الْقَـــضَاءِ وَالْقَـــدَرِ

والشاعر هنا يتحدث عن شوقه لمحبوبته عبلة وشدة حبه لها وغرامه بها، وهو مقام يتطلب التلذذ بذكر اسم محبوبته، ولما كان الأمر كذلك فقد كرر ذكر اسم محبوبته ظاهراً غير مضمر في مطلع البيت الثاني وكذلك الثالث دون إضمار احتياطا بذلك للمعنى الذي يريده، وهو التلذذ بذكر محبوبته، إذ أيقن أن استعمال الضمير أو أي لفظ آخر يشير به إلى محبوبته لن يؤدي إلى المعنى المراد، ومن ثم احتاط له وركَّز عليه بذكر الاسم الظاهر، ومثل ذلك قوله في موضع آخر [3]:

([1]) د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص ١٧٦، دار الشروق، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
([2]) الديوان، ص ٨٣.
([3]) الديوان، ص ٨٤.

يَـــا عَبْـــلَ حُبُّـــكِ سَـــالِبٌ أَلْبَابَنَـــا وَعُقُولَنَـــا فَتَعَطَّفِـــي لا تَهْجُـــرِي
يَـــا عَبْـــلَ لَوْلَـــا أَنْ أَرَاكِ بِنَـــاظِرِي مَا كُنْـتُ أَلْقَـى كُـلَّ صَـعْبٍ مُنْكَـرِ
يَـا عَبْـلَ كَـمْ مِـنْ غَمْـرَةٍ بَاشَـرْتُهَا بِمُثَقَّـفٍ صَـلْبَ الْقَـوَائِمِ أَسْـمَرِ

فحبُّ عبلة قد سلب لبه وعقله، ومن أجلها يلقى الصعاب ويصبر عليها، وذلك مقام يدعو إلى التلذذ بذكر اسمها وإعادة ذكره مرة بعد مرة، وهو ما نراه في مطلع الأبيات الثلاثة المذكورة احتياطًا منه للمعنى الذي أراده، وفى هذا سعي من الشاعر وحرصٌ على التحام أجزاء الكلام وتماسكه شكلاً ودلالة، وجعله كالسلسلة الخطية يتبع اللاحق منه السابق شكلاً ودلالةً [1]. ومن ثم فإنه على قارئ الشعر بصفة عامة وقارئ هذه الأبيات بصفة خاصة ألا يجعل قراءاته للشعر مقصورة على ما يحقق له العصمة من الخطأ والمألوف من نظام العبارة وتكوينها النحوي، وفى هذا المعنى يقول الدكتور تامر سلوم: " والحق أن النحو لا يستطيع بأدواته القريبة، أن يواجه الخلق الخيالي في الشعر، وحينما نقول: إن الشعر نشاط لغوي، لا نعني أن الشعر ينبغي أن يقرأ في ضوء هذه المفاهيم النحوية، وإنما نعني أن هناك قوى مستمرة في قلب العبارة الشعرية لا نستطيع أن نتجاهلها، تلك القوى التي تعدل هذه المفاهيم أو تعمل على هدمها أو تخلق منها ما تشاء "[2].

ومن الاحتياط للمعنى بوضع الظاهر موضع المضمر للتلذذ بذكره قول عنترة[3]:

يَا عَبْلَ مَا أَخْشَى الحِمَامَ وَإِنَّمَـا يَـا أَخْشَى عَلَـى عَيْنَيْـكِ وَقْـتَ بُكَـاكِ
عَبْـلَ لَـا يَحْزُنْـكِ بُعْـدِي وَابْـشِرِي بِـسَلَامَتِي وَاسْتَبْـشِرِي بِفَكَـاكِي

فعنترة يخاطب محبوبته مظهراً شدة خوفه عليها وعدم خوفه على نفسه، وقد كرر اسم محبوبته في مطلع البيت الثاني تلذذا بذكره، وقد صرح بالاسم الظاهر دون ضميره احتياطاً للمعنى المراد، وكان باستطاعته أن يأتي بالضمير، فيقول: وأنت لا

(1) ينظر: د. مراد حميد عبد الله، من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، ص ٥٩، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، الجزء الخامس، ٢٠١٠م.
(2) نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٥٥.
(3) الديوان، ص ١١٠، وينظر: ص ٦٤، ص ٢١٠، ص ٢١١.

يحزنك، أو يقول: لا تحزني بعدي وابشري، ولكنه عدل عن تلك الصيغة إلى أخرى يصرح فيها بالاسم الظاهر للتلذذ بذكره وتأسيساً على ذلك، فإنه يمكن القول: إن بنية النحو فضلا عن بنية الشعر ليست " انعكاساً مباشراً لفكرة التوضيح أو الزينة، أو التحسين وما يشبهها من الدلالات القريبة التي نُجَمِّلُ بها صورة التشكيل النحوي على نحو ما نجدها في الموروث النقدي القديم، وهي – من غير شك – صورة هزيلة شاحبة، لأن النشاط النحوي الاستاطيقي – أي الجمالي – أعمق مما يجري على أقلامنا حتى الآن، أو هو فيما نتوهم – وافر الحظ من العمق والثراء"[1].

(1) د. تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ٥٢.

المبحث الثاني: الاحتياط للمعنى من خلال النص على الوجه الإعرابي

أدرك النحاة منذ القدم العلاقة الوثيقة بين الإعراب والمعنى، وتناولوها في مؤلفاتهم، فقد عقد ابن جنى في خصائصه باباً سماه: " تجاذب المعاني والإعراب"، وكان مما قاله في هذا الباب: " هذا موضعٌ كان أبو علي – رحمه الله – يعتادُه، ويُلِمُّ كثيرًا به، ويبعثُ على المراجعةِ له، وإلطافِ النظرِ فيه، وذلك أنَّك تجدُ في كثيرٍ من المنثورِ والمنظومِ الإعرابَ والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمرٍ، وهذا يمنعُكَ منه، فمتى اعْتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"(١).

والموقع الإعرابي للكلمات في الجمل يكشف عن طبيعة العلاقة بين هذه الكلمات من جهة ويدلنا على المعنى المراد من جهة أخرى، إذ من المعلوم أن كلاً من " الموقع الإعرابي والحالة الإعرابية جانب تجريدي، تصطنعه الدراسة؛ لتفسير بناء الجملة والكشف عن علاقاتها، وهي في الوقت نفسه نابعةٌ من فهم معنى العلاقة بين الأجزاء، تلك العلاقة التي يسهم في نشأتها المعنى المعجمي للمفردات"(٢).

ولا يخفى علينا أنَّ " الإعراب هو الفارقُ بين المعاني المتكافئةِ في اللفظ، وبه يُعْرَفُ الخبرُ الذي هو أصلُ الكلام، ولولاه ما مُيِّزَ فاعلٌ من مفعولٍ، ولا مضافٌ من منعوتٍ، ولا تعجبٌ من استفهامٍ، ولا صدرٌ من مصدرٍ، ولا نعتٌ من تأكيدٍ"(٣).

ولما كان الأمر كذلك، فقد تنبَّه عنترةُ بن شداد للمعنى الذي يريده من أبياته، وذلك من خلال النص على الوجه الإعرابي الدال على المعنى المراد، حتى لا يفهم المتلقي خلاف ما أراده الشاعر، وقد تعددت صور الاحتياط للمعنى بالإعراب عند عنترة بن شداد، فمنها: الاحتياط للمعنى بالإعراب عن طريق حذف المبتدأ وذكر الخبر، ومنها الاحتياط للمعنى بالإعراب عن طريق ذكر البدل المطابق، وكذلك الاحتياط للمعنى بالإعراب من خلال ذكر الحال، أو ذكر جملة الحال أو ذكر المفعول معه، وقد يحتاط للمعنى بالنص على الوجه الإعرابي من خلال ذكر اللام المقحمة بين المتضايفين لتأكيد معنى الإضافة، ويمكن العرض لهذه الصور على النحو التالي:

---

(١) ابن جني ، الخصائص، ٣/٢٥٥.

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص ١٩٧.

(٣) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٧٥، تحقيق د. عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

١ – الاحتياط للمعنى بالإعراب (عن طريق حذف المبتدأ) أو (عن طريق حذف الخبر)

يَكْثُرُ حذفُ المبتدأ في لغة العرب، وذلك في جواب الاستفهام، وبعد فاء الجواب، وبعد الخبر صفة له في المعنى، ويجيزون الحذف إذا دلَّ عليه دليلٌ، وقد فصَّل النحاةُ القولَ في مواضع جواز حذفه، وكذلك مواضع وجوب حذفه بما يغني عن ذكرِهَا هُنَا، والحذفُ سواء أكان جوازاً أم وجوباً فإنَّه لا يتمُّ إلا بوجود قرينةٍ مقاليةٍ أو مقاميةٍ تومئُ إلى المحذوف وتشيرُ إليه، ومن أشعار عنترة التي احتاط فيها للمعنى عن طريق حذف المبتدأ قوله [١]:

إذا الْتَقَيْتُ الأعَاديَ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ... تركتُ جَمْعَهُمُ المَغْرُورُ يُنْتَهَبُ

أُسُودُ غَابٍ وَلَكِنْ لا نُيُوبَ لَهُم ... إلَّا الأسِنَّةُ والهِنْدِيَّةُ القُضُبُ

تَعْدُو بِهِمُ أُعْوَجِيَّاتٌ مُضَمَّرَةٌ ... مِثْلُ السَّرَاحينِ فِي أعْنَاقِهَا القَبَبُ

فكلمة (أسود) في البيت الثاني خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديره: (هم) يعود على أعدائه، ولا يجوز لقائل أنْ يقول: إن المبتدأ المحذوف هنا يمكن تقديره بالضمير (نحن)، وذلك لأن سياق الأبيات يحول بينه وبين هذا التقدير، وقد احتاط الشاعر لهذا التقدير بأكثر من وجه، الأول: أنه ذكر كلمةَ (الأعادي) صريحةً في البيت الأول، والوجه الثاني: الصفات التي خلعها الشاعر على هؤلاء الأعداء، فهم أسود بلا أنياب، وهم فرسان يمتطون خيلا معوجة القوائم، وهم ذئاب أصيبت بضمور في أعناقها. فالإعراب هنا مظهرٌ من مظاهر الاحتياط للمعنى، لأنه يبين المعاني ويكشف عنها، وقد نبَّه ابنُ جنِّيٍّ على ما يجب اتباعه عند اختلاف المعنى والإعراب، إذ يقول: " ألا ترى إلى فرقٍ ما بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فإذا مر بك شيءٌ من هذا عن أصحابنا، فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه، فإنْ أمْكَنَكَ أن يكونَ تقديرُ الإعرابِ على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غايةَ وراءَه، وإنْ كان تقديرُ الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصحَّحْتْ تقديرَ الإعرابِ "[٢].

فالإعراب وثيق الصلة بالمعنى، إذ توجد أساليب في العربية لا يصل إلى المراد منها إلا من خلال الوقوف على إعرابها، كما أنه لا يمكن لنا أنْ نُقدِّرَ وجهًا إعرابيًا

(١) الديوان، ص ٢٥.

(٢) الخصائص، ١/٢٨٣ – ٢٨٤.

بعينه دون معرفة المعنى، فالإعراب: "يعطى المتكلم سعة في التعبير، وحرية في الكلام، فيقدم ويؤخر دون لبس، إذ يبقى الكلام مفهوما، وذلك لأن المفردةَ تحملُ معها ما يدلُّ على وظيفتِها اللغوية، وهذا يتضحُ في العربية فيما لا يتبين فيه إعراب، وليس ثمة قرينة تدل على المعنى الذي يُفتقد، فلابد أن تسير على ترتيب معين لا تحيد عنه، وذلك نحو: ضرب موسى عيسى، فلابد أنْ تُقَدِّمَ الفاعلَ على المفعول وإلا الْتَبَسَ الكلامُ "[1]، كما أن الصنعة النحوية يجب "أن تخضع للمعاني لا أن تخضع المعاني لها؛ لأنَّ مقصودَ المتكلم واحد لا يختلف، وأما وجوه الإعراب فتحمل معاني متعددة وهو عمل النحوي، ولا ينبغي أن نُلْزِمَ القائل بأن يَقْصِدَ ما يريدُه المعْرِب "[2].

ومن الاحتياط للمعنى بالإعراب – أيضا – قول عنترة [3]:

فَتَىً يَخُوضُ غِمَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا إِنْ وَيَنْثَنِي وَسِنَانُ الرُّمْحِ مُخْتَضِبُ
سَلَّ صَارِمُهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ وَأَشْرَقَ الْجَوُّ وانْشَقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ
والخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا والطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يُلْتَهَبُ

أورد الشاعر في البيت الأول خبرًا (فتى) حُذِف مبتدؤه، والتقدير: أنا فتى، فحُذِفَ المبتدأُ لعلم المُخَاطَبِ به، وقد يقول قائل: إنه يمكن أن نقدر المبتدأ المحذوف بضمير غائب، فيكون (هو فتى) وهذا قولٌ صحيحٌ من جهة التركيب والنحو، لكنه تقدير خاطئ من جهة المعنى والسياق؛ إذ إن سياقَ الأبيات يدلُّ دلالةً قاطعةً على أنَّ المقصودَ بكلمة (فتى): الشاعر نفسه دون غيره، لذلك حَسُنَ أنْ نُقَدِّرَ المحذوفَ بضميرِ متكلمٍ لا بضميرِ غائبٍ، ومن أجل ألا يختلط الأمر على المخاطب، فقد احتاط الشاعر لذلك، فذكر في البيت الثالث قوله (لي) فدلَّ استعماله لضمير المتكلم (الياء) أن المبتدأ المحذوف في مطلع البيت الأول هو ضمير المتكلم (أنا) لا الغائب (هو)، وزاد من الاحتياط للمعنى بإضافة ضمير المتكلم (الياء) لحرف التوكيد (أنَّ) وهو بذلك يحتاط للمعنى ويثبته في

(1) د. فاضل السامرائي ، الجملة العربية والمعنى، ص ٤٧.
(2) د. عبد العزيز أبو عبد الله: المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، ٣١٣/١، منشورات الكتاب والتوزيع، ليبيا، طرابلس، ط١، ١٩٨٢م.
(3) الديوان، ص ٢٥.

النفس، ولعل هذا الأمر يدفع الباحث إلى أن يقول: إن الفائدة وتمام المعنى، ووضوحه هو الهدف الرئيسي في البحث النحوي بصفة خاصة والبحث اللغوي بصفة عامة.

يقول الزجاجي: "إنَّ الأسماءَ لمَّا كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلةً على هذه المعاني، بل كانت مشتركةً جُعِلَتْ حركاتُ الإعرابِ فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمرا، فدلُّوا برفع (زيد) على أن الفعل له، وبِنَصْبِ (عمراً) على أن الفعل واقعٌ به، وقالوا: ضُرِبَ زيد، فدلوا أنَّ الفعل ما لم يُسَمِّ فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: هذا غلام زيد، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها، ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني"[1].

وقد يأتي المبتدأ محذوفاً في شعر عنترة رغبةً منه في التركيز على الخبرِ والاحتياطِ لمعنى معين يريدُه دون غيره، ومن ذلك قوله [2]:

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِم بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلِبَانِهِ حتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

حذفَ الشاعرُ المبتدأَ في هذا البيت وصرَّحَ بالخبر (تسربل بالدم) والتقدير: نحرُه تسربل بالدم، وقد احتاط بهذا الحذف للتركيز على المعنى المراد إثباته للخبر، فالمراد من الشاعر أن يبرز أن جسدَ فرسِه كلَّه قد تسربل بالدم، فحذف المبتدأ احتياطاً لهذا المعنى، إذ إن ذكره قد يُوحي للمُخَاطَبِ بأنَّ الدَّمَ قدْ غطى نحر جواده دون بقية جسده، وهذا المعنى غير مراد عنده، ولكن المراد أن يظهر أن الدم قد غطَّى فرسه كلَّه دون أن يثبت المعنى للنحر فقط، وبذلك يستقيم معنى البيت أوله مع آخره، فبدأ بعبارة (ما زلتُ أرميهم) التي تدل على المطاولة في إجهاد فرس الشاعر وإقحامه في صولات القتال، ولما كان ذكر المبتدأ يقلص ويحجم مساحة الدم بـــ (الثغر والنحر) فإن الشاعر احتاط لذلك وعدل عن ذكر المبتدأ، وجعله غير محدد، وكأن الإيحاء المقدم (جسمه تسربل بالدم)؛ أي إن جسم الجواد كلَّه قد تغطى بالدم، وهو مازال يناضل ويكافح

---

(1) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـــ)، الإيضاح في علل النحو، ص ٦٩، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـــ – ١٩٧٩م.

(2) الديوان، ص١٨٣.

ويطيع فارسه في اقتحام الأعداء ليضف– بذلك – على النَّصِّ الدلالة التي توغل في وصف جواد الشاعر وتفرده.

ومن مواضع حذف المبتدأ للاحتياط لمعنى معين في شعر عنترة قوله [1]:

يا دَارَ عَبْلَةَ بِـالجُواءِ تَكَلَّمِـي وعِمِي صَبَاحاً دارَ عبلةَ واسْـلَمِي

دَارٌ لآنِسَةٍ غَـضِيضٌ طَرْفُهَـا طَـوْعَ العَنَـاقِ لَذِيـذَةِ المُتَبَـسَّمِ

ففي البيت الثاني، صرَّح الشاعرُ بالخبر (دارٌ) وحذف المبتدأ، والتقدير: هذه دار. والشاعر في هذين البيتين يصف بيت محبوبته، وهو يريد أن يضفي حالة من التعظيم على الشيء المحذوف، وقد احتاط لهذا المعنى بحذف المبتدأ المعرفة اسم الإشارة (هذه) والتصريح بالخبر (دار) وجعلها نكرة، وكأنَّها شيءٌ مُبْهَمٌ غيرُ خاضعٍ للوصف، لأنها عائدة إلى محبوبته التي هي الأخرى غير خاضعة للمقياس السابق. ويتبين لنا هنا أن الإعراب وسيلة من وسائل إظهار المعنى وإيضاحه، يهدف إلى الإفصاح عن قصد المتكلم، وهو – أيضا – مظهرٌ من مظاهر الدِّقَّةِ في البيان؛ لأن تركيب الألفاظ – في حدِّ ذاته – قد يكون فيه دلالةٌ كافيةٌ على المعنى، وإيضاحٌ لمضمونِ الكلامِ وقصدِ المتكلم، ونلاحظُ كذلك في الأمثلة السابقة أن الإعراب خاضعٌ للمعنى خضوعاً مطلقاً، فيكشفُ عن الفاعليةِ والمفعوليةِ، والهيئةِ، والعلَّةِ، والزمانِ، والمكانِ، والاستفهام، والتعجب، والنداء، وغير ذلك. وقد نجد الإعراب خاضعًا لمؤثرٍ لفظيٍّ لا يجاري المعنى ولا يعبِّرُ عنْهُ، بل يخضعُ للعلاقات اللفظية في التركيب، ويرجع ذلك إلى النزعةِ الشكليَّةِ في نظام العربية، كما في تبادل حركات الإعراب، أو المجاورة، أو السببية، أو الشرطية، وغير ذلك [2]. ومن الشواهد الواردة في شعر عنترة قوله [3]:

مُرَنَّحَةُ الأَعْطَافِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا مُنَعَّمَةُ الأَطْرَافِ مَائِسَةُ الْقَدِّ

فالشاعر يصفُ خصال محبوبته ويعددها، فلجأ إلى تتابع جمل اسمية محذوفة المبتدأ والتقدير: هي مرنحةٌ، وهي مهضومةٌ، وهي منعَّمةٌ، وهي مائسةٌ، فهي تتمايل كبراً، وهي منعمة الأطراف، ناعمة القد، وقد احتاط الشاعر للمعنى المقصود، وهو أن

---

(1) الديوان، ص١٤٨ – ١٤٩.

(2) ينظر: د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقدٌ وتوجيهٌ، ص ٦٨، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

(3) الديوان، ص ٦١.

المدح أو الوصف في الأبيات بحق المحبوبة دون غيرها، وكان احتياطه بقرينة لفظية في أبيات سابقة على هذا البيت، فقال:

وَلَولا فتاةٌ فِـــي الْخِيَـــامِ مُقِيْمَـــةٌ لَمَا اخْتَرْتُ قُرْبَ الدَّارِ يَوْمًا عَلَى الْبُعْـدِ
مُهَفْهَفَةٌ والسِّحْرُ مِـــنْ لَحَظَاتِهَـــا إِذَا كَلَّمَـــتْ مَيْتـــاً يَقُـــومُ مِـــنَ اللَّحْـــدِ

فدلَّ بذلك على أن المبتدأ المحذوف يعود على محبوبته، والغاية من حذف المبتدأ وذكر الخبر التفخيم والتعظيم لشأنِ المحذوف، والحذف هنا جائز، لوجود قرينة مقالية تدلُّ على المحذوف، فإذا عدمت القرينة لفظية كانت أو معنوية، امتنع الحذف، وللإعراب دورٌ كبير في إعطاء الكلمات حرية في التراكيب من حيث التقديم والتأخير دون أن تفقد الكلمة وظيفتها، وهي مزية للعربية على غيرها من اللغات غير المعربة التي تلتزم فيها الكلمة رتبة واحدة، وبذلك تفقد جزءاً كبيراً من المرونة التي يمنحها لها الإعراب. وقد ذكر ابن جنى أن الإعراب يبين عن المعاني بالألفاظ دون أن يَحْدُثَ لبسٌ، فقال: "الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا (نوعا) واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"(١). فالتقديم والتأخير، وكذلك الحذف والذكر من المزايا التي أتاحها الإعراب للعربية، ولولا ذلك ما استطاع الدارس التمييز بين الفاعل والمفعول.

وقد ذكر الزمخشري أن:" الرفع علم الفاعلية، والفاعل واحد ليس إلا، وأما المبتدأ وخبره وخبر إن وأخواتها، ولا التي لنفى الجنس، واسم لا، وما المشبهتين بليس فملحقات الفاعل على سبيل التشبيه، والتقريب، وكذلك النصب علم المفعولية، والمفعول خمسة أضرب، وبقية المنصوبات ملحقات به، والجر علم الإضافة "(٢).

ومن شواهد عنترة قوله (٣):

بَطَلٌ، كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِـــي سَـــرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَـــوْأَمِ
لَمَّا رَآني قَدْ قَـــصَدْتُ أُرِيْـــدُهُ أَبْـــدَى نَوَاجِـــذَهُ لِغَيْـــرِ تَبَـــسُّمِ

(١) الخصائص، ٣٦/١.

(٢) ابن يعيش: أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، ٧٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

(٣) الديوان، ص ١٧٧ – ١٧٨.

فَطَعَنْتُهُ بِـــالرُّمْحِ ثُـــمَّ عَلَوْتُـــهُ بِمُهَنَّدٍ صَـــافِي الْحَدِيْـــدَةِ مِخْـــذَمِ

يصف الشاعر معركةً يواجه فيها بطلا، يخلع عليه الشاعر من صفات الشجاعة والإقدام ما يجعله فارساً مغواراً تهاب الفرسان مواجهته، وقد حذف المبتدأ في مطلع البيت الأول وصرَّح بالخبر، والتقدير: (هو بطل)، والحقيقة أنَّ الحذف هنا ليس تعظيماً من شأنِ المحذوف وإنْ كان يمتلك حقيقةً صفات الفرسان، وقد احتاط الشاعر لذلك بقرينة لفظية، وهي أن الشاعر أظهر شجاعته هو، فانقضَّ على هذا الفارس فطعنه برمحه ثم اعتلاه بمهنده، وكأنه بذكره لصفات عدوه يعظم من قوة نفسه وشجاعته وبسالته هو.

وقد ذكر ابن فارس أن بالإعراب: " تُمَيَّزُ المعاني، ويُوقَفُ على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلا لو قال: " ما أحسن زيد " غير معرب، أو ضرب عمرو زيد، غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسنَ زيداً، أو: ما أحسنَ زيدٌ، أو: ما أحسنُ زيدٍ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني"[1]، فحركات الإعراب تحمل دلالات للكلمات في التراكيب المختلفة. فالمخاطب لا يستطيع استيعاب هذه الجمل، ولا يمكنه فهم المقصود منها دون إعراب، فلو قيل له: ضرب عمرُ زيداً، لفهم من الضارب ومن المضروب، والفضل في ذلك يعود إلى الإعراب، الذي يساعد على إزالة الغموض واللبس الذي يمكن أن يحدث في اللغة لولاه، وهو – بالإضافة إلى ذلك – مظهر من مظاهر الدقة والجمال في اللغة. يقول ابن قتيبة: " ولها – أي: العرب – الإعراب الذي جعله الله وشيًا لكلامها وحليةً لنظامها وفارقًا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يُفرق بينهما إذا تساوت حالاتهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي، بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي، بالإضافة؛ لدلَّ التنوينُ على أنَّه لم يقتلْه، ودلَّ حذف التنوين على أنَّه قد قتله"[2]، فلولا الإعراب لاختل المعنى.

---

(1) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص ٣٠٩.

(2) ابن قتيبة: محمد بن عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، ص ١٤، دار التراث، القاهرة، ط٢.

وقد يكون الاحتياط للمعنى بالإعراب عن طريق ذكر المبتدأ وحذف الخبر، وحذف الخبر واردٌ عن العرب، ويحذف وجوبًا أو جوازًا إذا دلَّ عليه دليل، فيحذف جوازًا نحو: خرجت فإذا السبع، ووجوبًا فيما التزم في موضعه غيره، نحو: لولا الإسلام لهلك الناس [1]، وحذف الخبر من عادة العرب في كلامها، وله مواضع عندهم، منها: بعد إذا الفجائية، وفى جواب الاستفهام.

ومن حذف الخبر والتصريح بالمبتدأ في شعر عنترة قوله [2]:

فَإِنْ يَكُ عِزٌّ فِي قُضَاعَةَ ثَابِتٌ ... فَإِنَّ لَنَا بِرَحْرَحَانَ وأَسْقُفِ

كَتَائِبَ شُهْبًا فَوْقَ كُلِّ كَتِيْبَةٍ ... لِوَاءٌ كَظِلِّ الطَّائِرِ المُتَصَرِّفِ

فحذف الخبر احتياطاً لمعنى الثبات في قوله: لواء كظل الطائر، والتقدير: لواء مرفرف.

وكأنَّ اللواء الموحي بمعنى العز والرفعة ثابت راكز في الكتيبة لا يتحرك ولا ينزل، وقد احتاط الشاعر بحذف الخبر للدلالة على معنى الثبات واللزوم من جهة ومعنى الشجاعة والفخار من جهة أخرى، فقواعد الإعراب التي تكسب اللغة تنظيمها الدقيق، وتماسك عناصرها " يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة، وهذا النظام لا يوجد له نظير في أي أخت من أخواتها السامية اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية، والآرامية، والحبشية "[3].

ومن شواهد حذف الخبر – كذلك – في ديوان عنترة قوله [4]:

عَجِبَتْ عُبَيْلَةُ مِنْ فَتًى مُبْتَذِلٍ ... عَارِي الأَشَاجِعِ شَاحِبٍ كَالْمُنْصَلِ

لَا يَكْتَسِي إِلَّا الْحَدِيْدَ إِذَا اكْتَسَى ... وَكَذَاكَ كُلُّ مُغَاوِرٍ مُسْتَبْسِلِ

---

(1) ينظر: د. محمد جعفر: المنتخب من كلام العرب، ص ٩٤، مطبعة الآداب، العراق، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(2) الديوان، ص١٠٣

(3) د. علي عبد الواحد وافي، في فقه اللغة، ص ٢١٠، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٨.

(4) الديوان، ص١٢٠.

فَحُذِفَ الخبرُ في قوله: كذاك كل مغاور، والتقدير: كذاك حال كل مغاور، وقد احتاط بهذا الحذف للتأكيد على معنى أن حالته هذه طبيعةٌ ولا حاجة له بذكرها، والحذف هنا أبلغ من الذكر، وعن العلاقة بين معانى الكلمات في العربية والإعراب يقول الأستاذ على النجدي ناصف: " إن العرب إنَّمَا قَصدتْ بلغتِها الإفصاحَ والبيانَ، فذلك هو المقصدُ الأصيلُ باصطناع اللغة في التعبير، وأنها لذلك زودت الكثرة الغالبة من كلماتها بالإعراب، يلازمها ويبين عن معانيها، ثم أقبلت على القلة التي حُرمت مزية الإعراب يعوضها في لفظها أو في مواطن استعمالها، أو فيهما جميعا مما يُبَين عن معانيها..."[١]

٢ – الاحتياط للمعنى بالإعراب (عن طريق ذكر البدل المطابق):

احتاط الشاعر للمعنى المراد عن طريق حذف المبتدأ وذكر الخبر، وكذلك حذف الخبر وذكر المبتدأ، فقد احتاط للمعنى المراد بذكر البدل المطابق.

ومما ورد في شعر عنترة قوله [٢]:

يَطُوفُ عَلَيْهِم خَنْدَرِيسٌ مُدَامَةٌ تَرَى حَبَباً مِنْ فَوْقِهَا حِيْنَ تُمْزَجُ

وقد احتاط الشاعر للمعنى الذي أراده (الخمر المعتقة) التي تطوف عليهم. فَذِكْرُ كلمة (خندريس) وحدها دون ذكر كلمة (مدامة) وهي بدل مطابق قد يؤدي إلى اللبس والغموض وتعيين معنى لم يرده الشاعر، فكلمة (خندريس) تعني لغةً: الخمر القديمة، وقد تكون – أيضًا – وصفاً للتمر القديم، أي: تمر خندريس، وقد تكون وصفًا للحنطة القديمة، أي حنطة خندريس، ولما كان الأمر كذلك فقد احتاط للمعنى المراد، وهو الخمر، بذكره (مدامة)، وزاد الأمر بيانا بذكره أوصافا لها، فقال [٣]:

أَلَا إِنَّهَا نِعْمَ الدَّوَاءُ لِشَارِبٍ أَلَا فَاسْقِينِهَا قَبْلَ مَا أَنْتَ تخرجُ

وقد حسم الأمر بأنها الخمر دون التمر أو الحنطة بقوله [٤]:

فَنُضْحِي سَكَارَى والمدامُ مُصفَّفٌ يُدَارُ عَلَينَا والطَّعَامُ الْمُطَبْهَجُ

(١) د. علي النجدي ناصف، من قضايا اللغة والنحو، ص ٢٦، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.
(٢) الديوان، ص ٤١.
(٣) السابق، نفسه.
(٤) السابق، نفسه.

ومن المفيد هنا توضيح المقصود بالإعراب الذي يُحتاط به للمعنى، فالإعراب ليس مجرد العلامة الإعرابية التي تتغير بتغير أواخر الكلمات والتي هي مقابلة لمصطلح البناء؛ لأن تغيير حركات أواخر الكلمات لا يتعدى نقل الكلمة من المبتدأ إلى الخبر، ومن الفاعلية إلى المفعولية، لكن المقصود هنا الإعراب بمفهومه الأوسع الذي يرتبط بالمعنى بصورة أوثق وأكبر، فالإعراب المشار إليه إذن هو الموقع، أي الموقع الإعرابي للكلمات في التراكيب، والعلامة الإعرابية تتداخل اصطلاحاً مع مصطلح الموقع الإعرابي، ويمكن الإشارة إلى هذا التداخل بالقول: " إن المتكلم يَعْرِبُ كلامَه؛ أي : يأتي بعلامات الإعراب والبناء في عبارته، والنحوي يعرب كلام المتكلم، أي يعين الدوائر التي تقع فيها الكلمات، ومنحى وقوع كل كلمة في دائرتها الخاصة"[1]. ومن شواهد الاحتياط للمعنى بالإعراب عن طريق ذكر البدل المطابق في شعر عنترة، قوله [2]:

كَسَوْتُ الْجَعْدَ جَعْدَ بَنِي أبَانٍ سِلَاحِي بَعْدَ عُرْيٍ وَافْتِضَاحِ

فالشاعر هنا يوضح أنه قد أعار سلاحه لعدوه (الجعد) بعد أن عُري من سلاحِه، وحتى لا يختلط الأمر على المخاطب وتتداخل معاني الأسماء عنده، فقد احتاط الشاعر لذلك محددا للاسم المراد وهو: جعد بن أبان، وذلك احتياط بذكر البدل المطابق. لقد احتاط الشاعر هنا لِمَا أراد من معنى، ومن ثَمَّ مكَّنَه في نفس المتلقي ونصَّ عليه من خلال ذكر البدل المطابق، وفى بيان علاقة ذلك الاحتياط بالمعنى يمكن القول: إن تحديد الموقع الإعرابي لكل لفظ في التركيب هو السبيل المتاح لبيان علاقة الألفاظ وطرق اتصالها ببعضها من أجل أداء المعنى المراد، "ولا يكون ذلك بطبيعة الحال إلا بتوظيف جميع القرائن (المعنى المعجمي، والصيغة، والإسناد، والمطابقة، والربط،

(1) د. محمد سعيد صالح الغامدي: العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، ص ١٨، مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية.

(2) الديوان، ص٤٨.

والرتبة... إلخ) وعدم الاكتفاء بالعلامة الإعرابية وحدها، بل إن الإعراب بهذا المعنى هو المُتَمِّمُ لدور العلامة المحدود بالضرورة"(١).

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن المقصود بالإعراب هنا: الإعراب بمفهومه الشامل (العلامة والموقع)، فالإعراب حين يقف عند العلامة الإعرابية، فإنه يقف عند تعيين الرفع والنصب والجر، وحينئذٍ فإنه يحتاج إلى تضافر الإعراب بمعنى الموقع، لتعيين دائرة أخرى، وهي نوع المرفوع، ونوع المنصوب ونوع المجرور، وبهذا يُبْنَى النظامُ التركيبي في العربية على العلاقة والموقع، ويتصف بذلك بالشمولية، وفى هذا يذكر الدكتور محمد صالح الغامدي: "إن النظام الإعرابي الذي جعل المبتدأ مبتدأ، والفاعل فاعلا بُنِيَ على المعنى الوظيفي الذي يقع فيه كلٌّ واحد منهما، وقد بُني المعنى الوظيفي أصلا على المعنى الدلالي، ثم يلتقي في اللفظ الواحد كلٌّ من الإعراب والمعنى حينًا، ويتفارقان حينًا آخر"(٢).

وقد نبَّه ابنُ جني في خصائصه إلى هذه العلاقة بين الإعراب والمعنى، فقال:" هذا الموضع كثيرًا ما يستهوي مَنْ يضعفُ نظره إلى أن يقوده إلى إفساد الصنعة، وذلك قولهم في تفسير قولنا: أهلَكَ والليلَ، معناه: الْحَقْ أهلك قبل الليل، فربما دعا ذاك من لا دربة له إلى أن يقول: (أهلَك والليلِ) فيجره، وإنما تقديره: الْحَقْ أهلَكَ وسَابِق الليلَ وكذلك قولنا: زيدٌ قام، ربما ظن بعضهم أن زيدا هنا فاعل في الصنعة كما أنه فاعل في المعنى، وكذلك تفسير معنى قولنا: سَرَّني قيام هذا وقعود ذاك، بأنه: سرَّني أن قام هذا وأن قعد ذاك، ربما اعتقد في هذا وذاك أنهما في موضع رفع؛ لأنهما فاعلان في المعنى"(٣).

٣ – الاحتياط للمعنى بالإعراب (عن طريق ذكر الحال مفرداً كان أو جملة):

قد يحتاط للمعنى بالإعراب بذكر الحال مفرداً كان أو جملة اسمية أو فعلية، ومما ورد في ديوان عنترة وقد احتاط للمعنى فيه بذكر الحال المفرد، قوله (٤):

مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ   رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارا

---

(١) د. محمد سعيد صالح الغامدي: العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، ص ٢٢.

(٢) السابق، ص٢٤.

(٣) ابن جنى: الخصائص ١/٢٨٠ – ٢٨١.

(٤) الديوان، ص٦٩، ومطلع البيت رُوِيَ: متى ما نلتقي، ينظر الديوان، ص ٦٩.

فالشاعر يوجِّهُ كلامه لملاقيه في الحرب، قائلا: عندما نلتقي منفردين أنا وأنت في الحرب ستضطرب خوفا وجبنا، وقد وردت كلمة (فردين) منصوبة، ونصبها على الحال، فهي: حال منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى، وهي حال من الفاعل والمفعول معا، وتقدير المعنى آنذاك: أنا فرد وأنت فرد، والنحاة يجيزون تعدد الحال مع تعدد صاحبها وإن اختلف إعرابهما.

قال الحضرمي:" تلقني فردين: حال من ضميري الفاعل والمفعول الذين في (تلقني) أي: منفردين أنا وأنت، ومثل هذا نظير قولهم: لقيته مصعداً منحدراً، فالحال هنا لبيان هيئة الفاعل والمفعول، والعامل فيهما (لقيت) [1]، وقد احتاط الشاعر للمعنى الذي يريده وهو إظهار شجاعته وتفوقه على عدوه، وذلك بورود الحال المنصوبة، وقد لجأ الشاعر إلى تعدد صاحب الحال؛ لأن المعنى يتطلب إظهار الشجاعة في مواجهة العدو، ويلزم لذلك تعدد صاحب الحال.[2]

ويبدو الإعراب في هذا الشاهد وسيلة من وسائل إظهار المعنى وإيضاحه، يراد منه الإفصاح عما يقصده المتكلم، وهو بذلك مظهر من مظاهر الدقة في البيان، لأن تركيب الألفاظ في حد ذاته يكون دلالة كافية على المعنى، وإيضاحا مغنيًا لمضمون الكلام وقصد المتكلم. وقد أشار السامرائي إلى أن الإعراب يمنح الدقة في المعنى وغناء في التعبير ويُمَكِّنُ المُتَكَلِّمَ من التعبير بدقة عن المعاني التي يريدها مما لا نجد نظيره في اللغات المبنية [3].

ومن الاحتياط للمعنى بالإعراب عن طريق ذكر الحال المفرد ما ورد في قول عنترة [4]:

نُبِّئْتُ عَمْراً غَيْـرَ شَـاكِرِ نِعْمَتِـي والْكُفْـرُ مَخْبَثَـةٌ لِـنَفْسِ الْمُـنْعِمِ

---

(1) الحضرمي: مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، القسم السادس، ديوان عنترة، ص ٢٨، تحقيق: على الهروط، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

(2) الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن عمر، المفصل في علم العربية، ص ٧٩، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

(3) ينظر: د. فاضل السامرائي، معاني النحو، ٣٨/١ – ٣٩، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

(4) الديوان، ص١٨٠.

فقد أخبر الشاعر أن عمرا لا يعترف بنعمته، ونكران النعمة ينفر نفسَ المنعم عن الإنعام، ويروى البيت بفتح العين في (المنعَم)، والمعنى عندئذ: من كفر النعمة فذلك مخبثة لنفسه. وقد ذكر أبو حيان الأندلسي: " إن كانت (نبئت) بمعنى (أخبرت) كانت (غير) حالا "[1] وهو بذلك يشير إلى تعدي (نبئت) لمفعولين إذا كانت بمعنى (أخبرت) ويميل الباحث إلى ترجيح هذا الرأي، فهو من الاحتياط للمعنى الذي لا يسمح معه لذهن المخاطب أن ينصرف إلى أمر آخر، ولعل في إعطاء كلمة (نبئت) معنى (أخبرت) نوعا من التضمين، وإشراب لفظ معنى لفظ آخر فيُعْطَى حكمه. وذلك كله يدفعنا إلى القول بأن المعنى يسهم إلى حد كبير في تحديد الوظيفة النحوية، والجهل به يؤدي إلى تجاهل قاعدة أساسية في النحو العربي، وهي: أمن اللبس؛ أي: عدم وضوح الدلالة.

وقد ذهب أبو حيان إلى أن (نبئت) قد تكون بمعنى (أعلمت) وحينئذ تكون (غير) مفعولا ثالثا، وذلك لأن (نبأ) و (أنبأ) يكونان بمعنى الخبر، فيتعديان إلى مفعولين، ويكونا بمعنى العلم، فيتعديان إلى ثلاثة مفاعيل"[2]. أما سيبويه فقد جعل (نبأ) من الأفعال التي تتعدى لثلاثة مفاعيل، ولم يجز أن يقتصر على مفعول واحد دون الثلاثة، فقال: " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى ثلاثة مفعولين ولا يجوز أن تقتصر على مفعول منهم واحد دون الثلاثة؛ لأن المفعول ههنا كالفاعل في الباب الأول الذي قبله في المعنى، وذلك قولك: أرى الله بِشْراً زيداً أباك، ونبأت زيداً عمراً أبا فلان، وأعلم الله زيداً عمراً خيراً منك "[3]. وقد أشار الحضرمي إلى الرأيين في تعليقه على بيت عنترة، فقال: " عمراً، وغير، معمولان لنبئت على مذهب من اعتقد أنها بمعنى (أُعلمت) التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، ومن جعلها بمعنى خبرت عداها إلى مفعولين"[4]. فـ (أنبأ) و(نبأ) – عند أبي حيان – يأتيان بمعنى الخبر، وحينئذ يتعديان إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر، وقد يحذف الجار، فيتعدى الفعل بنفسه، فينصب ومن ذلك قوله تعالى:

---

(1) الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف، تذكرة النحاة، ص ٤٧٤، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦م.

(2) تذكرة النحاة، ص ٤٧٤.

(3) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ٤١/١.

(4) مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، ص ١٩.

﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـٰذَا** ﴾(التحريم: ٣) أي: بهذا. وقد زاد الأندلسي القول وضوحاً، فجزم بأن: " كل ما وقع في القرآن من النبأ، فهو بمعنى الخبر "[١].

ومن الاحتياط للمعنى عن طريق ذكر الحال المفرد في ديوان عنترة قوله [٢]:

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

يذكر الشاعر أن في إبلهم اثنتين وأربعين منها حلوبا، ووصفها بالسواد ليخبر عن كثرتهم وكثرة إبلهم، وشبهها بخوافي الغراب لأنها أشد بريقا وألين. وقد احتاط الشاعر للمعنى المراد وهو إظهار كثرة إبلهم وخصوصا الحلوب منها بذكر الحال المفرد (سودا)، وهذه الحال قد تكون حالا من العدد المذكور، وقد تكون حالا من كلمة (حلوبة) النكرة. قال ابن هشام: "فحلوبة: لتمييز العدد، وسودا: إما حال من العدد، أو من حلوبة، أو صفة، وعلى هذين الوجهين ففيه حمل على المعنى؛ لأن حلوبة بمعنى حلائب، فلهذا صح أن يحمل عليها سوداً"[٣].

فإذا روعي اللفظ، كانت (سودًا) نعتا، وإذا روعي المعنى كانت حالا، وقد نقل الصبان عن العيني أنه يجوز في نعت تمييز العدد مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، والشاهد هنا أن الشاعر قد راعى اللفظ بقوله: سودا، فإنه نعتٌ لحلوبة مع جواز مراعاة المعنى فقال:" ويجوز في هذا الباب رعاية اللفظ والمعنى. يقول: عندي عشرون درهما وازناً، على اللفظ، وعشرون درهما وازنة، على المعنى"[٤]. ونقل التبريزي عن الأعلم الشنتمري قوله:" سودًا " حال من قوله: " اثنتان وأربعون"، وهو حال من نكرة، ويجوز رفعه على النعت ولا يكون نعتا للحلوبة؛ لأنها مفردة إذ كانت تمييزا للعدد، وسودا جمع ولا ينعت الواحد بالجمع" [٥]. فإذا حملت (سودا) على الحال كان مراعاة للمعنى، وإن حملت على النعت كان مراعاة للفظ.

---

(١) ينظر: تذكرة النحاة، ص ٤٧٤-٤٧٥.

(٢) الديوان، ص١٥٤.

(٣) ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص ٢٧٦، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٤) الصبان: محمد بن على (ت١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، ٩٩/٤، تحقيق: د. طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٥) شرح ديوان عنترة، ص ١٥٥.

ومن الاحتياط للمعنى عن طريق ذكر الحال جملة ما ذكره عنترة في قوله [1]:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُـوتُ ولَـمْ تَـدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِـرَةٌ عَلَـى ابْنَـي ضَمْـضَمِ

فالشاعر يخشى الموت قبل أن يلقى ابني ضمضم في الحرب ويدير عليهما الدائرة، وقد احتاط الشاعر للمعنى الذي يريده وهو الخوف من الموت قبل أن تدور دائرة الحرب عليهما، وذلك بذكره لجملة الحال (ولم تدر) وهي جملة حالية، وقد جاء الفعل المضارع مسبوقا بـــ (لم) النافية الجازمة مقرونا بواو الحال التي تمثل الرابط الذي اشترطه النحاة في وقوع الحال الجملة، ويمكن القول: إن هذا النوع من الاحتياط (ذكر الحال مفردا كان أو جملة) حافظ على المعنى النصي لأبيات الشاعر، وأفاد في إيصال المعنى المقصود من الأبيات دون لبس أو غموض.

ومن الاحتياط للمعنى بذكر جملة الحال – أيضا – قول الشاعر [2]:

يَـدْعُونَ عَنْتَـرَ والرِّمَـاحُ كَأَنَّهَـا أَشْطَانُ بِئْـرٍ فِـي لَبَـانِ الْـأَدْهَمِ

في هذا البيت يفخر عنترة بنفسه، فقومه ينادونه ليتقدم الصفوف لملاقاة العدو خصوصا بعدما أبصروا رماح العدو وقد كثرت وأشرعت في صدر فرسه، وقد احتاط بجملة الحال الاسمية التي في محل نصب (والرماح كأنها) في إبراز هذا المعنى حتى لا يتصور أن المقصود بالتقدم لملاقاة العدو شخص آخر غيره، وقد ارتبطت جملة الحال بصاحبها بالواو دون الضمير، ونظير ذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿ **لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ** ﴾(يوسف: ١٤) فارتبطت جملة الحال بصاحبها بالواو. ومثله – أيضا – قول عنترة [3]:

يَسُرُّ الفَتَى دَهْرٌ وَقَـدْ كَـانَ سَـاءَهُ وَتَخْدُمُهُ الأَيَّـامُ وَهُـوَ لَهَـا عَبْـدُ

فارتبطت جملة الحال (هو لها عبد) بصاحبها (الأيام) برابط واحد وهو الواو.

([1]) الديوان، ص ١٨٦.

([2]) الديوان، ص ١٨٢.

([3]) الديوان، ص ٥٥.

ومن الاحتياط للمعنى بذكر جملة الحال – كذلك – قول عنترة [1]:

عُلِّقْتُهَـــا عَرَضـــاً وَأَقْتُـــلُ قَوْمَهَـــا زَعْماً وَرَبِّ البَيْـتِ لَـيْسَ بِمَـزْعَمِ

والمعنى: أن حبها قد اعترضه من غير تعمد منه، غير أنه لا سبيل له في الوصول إليها، لأنه يقتل قومها، وجملة (وأقتل قومها) جملة حالية من التاء في (علقتها) وهي مقترنة بالواو مع المضارع المثبت، وقد منع النحاة اقتران الواو بالمضارع المثبت إذا كان جملة حالية [2]. وذكر ابن هشام:" واو المضارع لا تدخل على الفعل المضارع المثبت الخالي من (قد)"[3] وذكر ابن مالك في ألفيته [4]:

وذَاتُ بَـــدْءٍ بِمُـــضَارِعٍ ثَبَـــتْ حَوَتْ ضَـمِيْراً وَمِـن الْـوَاوِ خَلَـتْ

وقد اختلف النحاة في هذه الواو؛ فمنهم من ذهب إلى أنها وردت في البيت ضرورة، ومنهم من قال إنها عاطفة وليست واو الحال والمضارع مؤول بالماضي، والتقدير حينئذ: وقتلت قومها، فعدل عن لفظ الماضي إلى لفظ المضارع قصداً لحكاية الحال الماضية [5]. وذكر ابن عقيل أن: " الجملة الواقعة حالا إن صدرت بمضارع مثبت لم يجز أن تقترن بالواو بل لا ترتبط إلا بالضمير"[6]. وقد أورد الجرجاني علة منع هذه الواو أو إثباتها، فقال: " كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو، فذلك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها، فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو، فذلك لأنك مستأنف بها خبرًا، وغير قاصد إلى أن تضمَّها إلى الفعل الأول في الإثبات"[7].

---

(1) الديوان، ص ١٥٢.

(2) ينظر: الأزهري: خالد بن عبد الله، شرح التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ٦١٣/١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

(3) ابن هشام: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ٦٧٠/٢، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق.

(4) ابن مالك: ألفية ابن مالك، راجعها: صباح عباس السالم، ص ٢٥، مكتبة النهضة، بغداد، ١٤٠٤هـ.

(5) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٣٨٥/٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٤م.

(6) شرح ابن عقيل، ٥٢١/٢، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(7) الجرجاني: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٢١٣، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، وجدة، ط٣، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

وقد أوَّلَ بعضُ النحاةِ جملةَ الحال في مثل هذا الشاهد، فقالوا: إن هناك مبتدأ محذوفا، والتقدير: وأنا أقتل، والفعل المضارع حينئذ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (أنا أقتل) في محل نصب حال، والواو السابقة هي واو الحال الرابطة بين جملة الحال الاسمية وصاحب الحال (التاء في علقتها). ومن الأمثلة على ذلك ما نقله ابن عقيل من قولهم: قمت وأصك عينه، والتقدير: وأنا أصك عينه [١].

٤ – الاحتياط للمعنى بالإعراب (عن طريق ذكر المفعول معه):

من صور الاحتياط للمعنى المراد بالإعراب في ديوان عنترة ذكره للمفعول معه تثبيتاً لما يريده، ومن ذلك قوله [٢]:

وَمَنْ يَكُ سَـائِلاً عَنِّـي فَـإِنِّي وَجِـرْوَةَ لا تَـرُودُ وَلَـا تُعَـارُ

وردت كلمة (جروة) وهي اسم لفرس عنترة وقيل: اسم لفرس أبيه شداد منصوبة، وفى نصبها وجهان، الوجه الأول: أنها مفعول معه، والواو حينئذ تفيد المعية، والوجه الثاني: أنها معطوفة على اسم إنَّ المنصوب، وقد رجح الحضرمي الوجه الأول، وهو أنها منصوبة على المعية، وأنكر أن تكون معطوفة على الضمير في (إن) وعلل ذلك بقوله:" لأن ذلك لو كان للزمه – أي الشاعر– أن يأتي بخبر عن المنصوبين جميعا، ولكن لما جعلها مفعولا معه سد مسد الخبر؛ بمعنى: فإني مع جروة [٣]. فلما لم يأت بخبر عن المنصوبين، وأتى بالمفعول معه، فقد احتاط للمعنى الذي يريده وهو إرادة جمع صفتين له ولناقته ليصور الشاعر شدة ارتباطهما معاً، وهما: لا تجول، ولا تعطى لآخر.

أما الأعلم الشنتمري، فذهب إلى أن الواو في بيت عنترة السابق بمعنى: (مع) ولكنها عاطفة، إذ قال:" نصب (جروة) عطفا على المنصوب بـــ (إنَّ)، ومعنى الواو فيه معنى (مع) إلا أنَّ ما بعدها محمول على ما قبلها في (إنَّ) كما كان في الابتداء لعدم الفعل) [٤]. فاختار الأعلمُ الشنتمري العطف على الضمير المنصوب بـــ (إن) وإثبات

---

(١) شرح ابن عقيل: ٢ / ٥٢١، وينظر: مغنى اللبيب، ٦٧٠/٢.

(٢) الديوان، ص ٧٧.

(٣) مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، ص٧١.

(٤) الشنتمري: الأعلم، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، ص ٢٠١، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـــ –١٩٩٥م.

معنى المعية للواو، وفي هذا الوجه احتياط للمعنى أيضاً لسريانه في فلك المعنى السابق نفسه.

وقد ذكر ابن هشام خمس حالات للاسم الواقع بعد الواو، وهي عنده: " وجوب العطف، كما في: كل رجل وضيعته، ورجحانه: كجاء زيد وعمرو، ووجوب المفعول معه نحو: مالك وزيدا، ورجحانه كقولك: قمت وزيدا، وامتناعهما، كقولهم: علفتها تبناً وماءً "[1].

والرأي الراجح عندي في هذا البيت: امتناع العطف، ووجوب المفعول معه، وذلك لضعف العطف من وجهين، الأول: من جهة المعنى، إذ يقتضي المعنى في البيت وجود عنترة دائماً مع فرسه، وقد احتاط لذلك بواو المعية والمفعول معه. والوجه الثاني: من جهة الصنعة؛ لأن العطف على اسم إنَّ المنصوب قبل مجيء الخبر فيه ضعف.

٥ – الاحتياط للمعنى بالإعراب (عن طريق ذكر اللام المقحمة بين المتضايفين لتأكيد معنى الإضافة):

من الصور الوارد ذكرها للاحتياط في ديوان عنترة، ذكر اللام المقحمة بين المتضايفين، لتأكيد المعنى، ومن ذلك قوله [2]:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحتُوفَ كَأَنَّنِي ... أَصْبَحْتُ مِنْ غَرَضِ الحتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لَابُدَّ أَنَّ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ
فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لَا أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

في البيت الثالث، يطلب الشاعر من محبوبته أن تلتزم الحياء، وأن تعود عن لومه، والشاهد هنا في قوله: (لا أبا لك)، حيث وردت اللام مقحمة بين متضايفين، وقد أجاز النحاة البصريون والكوفيون الفصل بين المتضايفين بالظروف وحروف الجر (شبه الجملة)، وقصره البصريون على الشعر دون غيره، في حين توسع فيه الكوفيون فجعلوه غير مقصور على شبه الجملة في الشعر [3]. وقد احتاط عنترة في البيت الثالث

---

(1) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٢٤٣/٢.

(2) الديوان، ص١٢٨.

(3) ينظر: الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٤، ١٣٨٠هـ.

لمعنى الإضافة باللام الفاصلة بين المضاف (أبا) والمضاف إليه (الكاف)؛ إذ إنَّ وجودَ اللام دليلٌ لأمرين، الأول: الفصل بين المضاف والمضاف إليه، والثاني: التنكير.

وذهب القيسي إلى أنَّ " اللام في (لا أبا لك) تلحق بين المضاف (أبا) والمضاف إليه (كاف الخطاب) تبياناً لمعنى الإضافة وتوكيداً، وهي مقحمة غير معتدٍّ بها من جهة ثبات الألف في (أب)، ومعتد بها من جهة أنها هيأت الاسم لتعمل (لا) فيه، فـ (لا) النافية للجنس لا تعمل إلا في النكرة "[1]. وقد اختلف النحاة في الاسم المجرور بعد اللام، فذهب فريقٌ إلى أنَّه مجرورٌ بالإضافة، وذهب آخرون إلى أنَّ الاسم مجرور باللام المقحمة، وقد رجَّحَ ابنُ هشام [2] الرأيَ الثاني مخالفاً بذلك رأي سيبويه الذي رآها مقحمة بين متضايفين، وأن الاسم بعدها مجرورٌ بالإضافة. قال سيبويه معللا رأيه: " لأنَّ اللامَ أقربُ، ولأنَّ الجارَ لا يُعَلق "[3]. في حين يرى أبو بكر الأنباري أن (أبا) منصوب بـ (لا) و(لك) خبرها، أو أنها مبنية على لغة الذين يقولون: قام أباك، وأكرمت أباك، ومررت بأباك، والحركة في جميعها مقدرة على الألف"[4] ولمَّا كان الاحتياط لمعنى الإضافة سبباً في أن يأتي الشاعر باللام المقحمة بين المتضايفين، فإن الاسم الواقع بعد هذه اللام يُرَجَّحُ فيه أن يكون مجرورًا بالإضافة.

(1) القيسي: أبو علي الحسن بن عبد الله، إيضاح شواهد الإيضاح، ١/٢٨٠، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود العجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(2) مغني اللبيب ١ / ٢٨٦.

(3) الكتاب، ٢/٢٠٧.

(4) ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٨٨، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٢.

المبحث الثالث: الاحتياط للمعنى النَّصِّيِّ بأساليب توكيد متعددة

التوكيد أحد أساليب العربية التي يُلْجَأُ إليها لتقوية الكلام في نفس المخاطَب، وله أحوال تقتضيه وتتطلبه بحيث إذا خلا منه الكلام في هذه الأحوال، كان هناك خللٌ في الكلام سواء أكان الخلل في بلاغته أم في صحة تركيبه وبنيته النحوية، وللتوكيد ارتباطٌ قويٌ بمقاصد الكلام أو أهدافه من جهة، وارتباط قوى بهواجس النفس ومثيراتها من جهة ثانية. فالمتكلم" حين يستشعر أن مراده لم يستبن لمخاطبه كما يريد هو، أو حين يعتقد أن المخاطَب كان غافلاً وقت التلقي، أو واقعًا تحت تأثير عوامل تجعله غير مهتم بما يُلْقَى إليه، أو تجعله يتظاهر بأنه لا يبالي بما يسمع أو يتجاهل قصد المتكلم... المتكلمُ حين يستشعر شيئًا من هذا لا يجدُ أمامه إلا التكرار (التوكيد) يبين به عن حقيقة مقصودة، ويقرره تقريراً، لا يترك للمخاطَب تَعِلَّةً أو تَحِلَّةً يتحلل بها من تبعات ما أُلْقِي عليه أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف المتكلِم من عناية واهتمام"[1].

وقد تعددت صور الاحتياط للمعنى بالتوكيد في ديوان عنترة، ومن هذه الصور: الاحتياط بالتوكيد المعنوي، والاحتياط بالتوكيد اللفظي، والاحتياط بالمفعول المطلق المؤكِّد لعامله، والاحتياط بإثبات الشيء ونفي ضده، والاحتياط بنفي الشيء وإثبات ضده، والاحتياط باستخدام الحروف المؤكِّدة، نحو: لام الابتداء، وقد، ولقد، وإنَّ، وأنَّ، ونون التوكيد خفيفة كانت أو ثقيلة، والاحتياط للمعنى النصي بالباء الزائدة المؤكدة. ويمكن عرض هذه الصور على النحو التالي:

١ – الاحتياط للمعنى النصي بالتوكيد المعنوي:

التوكيد أحد التوابع في النحو، وهو نوعان، لفظي ومعنوي، ويُقصد من التوكيد المعنوي: تمكين الشيء في النفس وتقويته، وفائدته: إزالة الشك وإماطة الشبهة عما أنت بصدده، والغرض منه: رفع توهم المبالغة في المتبوع أو المجاز، أو السهو، أو النسيان، وباستقراء شعر عنترة تستوقفنا شواهد استَعْمَلَ فيها التوكيد المعنوي محتاطًا به لمعنى يقصده ويهدف إليه، ومن ذلك قوله [2]:

(١) د. إبراهيم الخولي، التكرار بلاغة، ص٨٣، دار الأدب الإسلامي للنشر، ط٢، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٤م.

(٢) الديوان، ص ٤٢.

فَدُونَكُمُ يَــا آلَ عَــبْسٍ قَــصِيدَةً يَلُوحُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ الصُّبْحِ أَبْلَــجُ
أَلا إِنَّهَــا خَيْــرُ الْقَــصَائِدِ كُلِّهَــا يُفَصَّلُ مِنْهَا كُــلُّ ثَــوْبٍ وَيُنْــسَجُ

هذان البيتان في سياق حديث الشاعر عن استعداده لحماية قبيلته طوال حياته حتى موته، ومن أجل قبيلته أنشد قصيدةً هي خير من القصائد كلِّها، وقد استخدم الشاعر التوكيد المعنوي في قوله: ألا إنها خير القصائد كلها، بلفظ من الألفاظ الرافعة لتوهم عدم إرادة الإحاطة والشمول (كلها)، وبيان ذلك أنه لو قال: إلا إنها خير القصائد لتوهم المخاطب أنها أفضل من بعض القصائد دون بعضها الآخر، وهو ما لا يريده الشاعر ولا يقصده، لذلك احتاط للمعنى الذي يريده بلفظ من ألفاظ التوكيد المعنوي يفيد الشمول والعموم مضاف إلى ضمير يعود على المؤكد (القصائد)، فاستعمال كلمة (كلها) مؤكداً معنوياً أزال أيَّ احتمالٍ يمكن أن يرد في ذهن السامع، وحصر الفهم لديه في معنى واحد، وهو الأفضلية المطلقة لهذه القصيدة على غيرها من القصائد كافة.

ومن استعماله للتوكيد المعنوي محتاطاً به للمعنى النَّصي المراد قوله [1]:

وَسَــلِي لَكِيْمَــا تُخْبَــرِي بِفِعَالِنَــا عِنْدَ الْــوَغَى وَمَوَاقِــفِ الْــأَهْوَالِ
والْخَيْلُ تَعْثُرُ بِالْقَنَــا فِــي جَــاحِمٍ تَهْفُــو بِــهِ وَيَجُلْــنَ كُــلَّ مَجَــالِ
وَأَنَا الْمُجَرَّبُ فِي الْمَوَاقِــفِ كُلِّهَــا مِنْ آلِ عَــبْسٍ مَنْــصِبِي وَفِعَــالِي

فاستعمل الشاعر في البيت الثالث لفظا من ألفاظ التوكيد المعنوي الدال على الإحاطة والشمول، وهو لفظ (كلها) المقترن بضمير يعود على المؤكد (المواقف)، وقد احتاط عنترة بالتوكيد المعنوي لتوصيل معنى يريده، وهو أن قومه لمَّا قصدوه في المواقف كلها لم يخذلهم، فهم لم يقصدوه في موقف دون آخر، وإنما في كل ما يعترضهم، وهو لم يخذلهم أبداً في أي موقف قصدوه فيه، وكان باستطاعته أن يقول: وأنا المجرب في المواقف، دون أن يذكر لفظ التوكيد المعنوي، لكن خوفه من أن يفهم المتلقي أنهم جرَّبُوه في موقفٍ دون آخر أتى بلفظ التوكيد المعنوي للإحاطة والشمول، وفى هذا دليلٌ على أنَّ الشاعر يختار كلماته بعناية لإبراز الدلالات التي يرمي إليها،

(1) الديوان، ص١١٧.

وليس الأمر عنده مجرد ألفاظ متراصة لإقامة الوزن وضبط القافية، وإن كان ذلك مهمًا أيضًا.

وهذا أمرٌ يمكننا من القول: " بأن اللغة تنطوي على قوى ذاتية توجِّه خلْقَهَا وفاعليتها، وأن لها إيحاءات بعيدة، تكيف دلالات مهمة في نموها وشاعريتها، وأن هذه الفاعلية أو الشاعرية كثيراً ما تظهر في اختيار الكلمات والتراكيب والصور"[1]، وهذا الأمر – احتواء اللغة على قوى ذاتية توجه خلقها وفاعليتها – يدفعني إلى القول بأننا في حاجة إلى البحث عن جماليات التركيب النحوي في شعرنا العربي بصورة جديدة، وذلك لأن الشعر لا يُقْرَأُ – ولا يُفْهَمُ أحيانًا – إلا في ضوء القوانين التي تكفل له العصمة من الخطأ، وأن مدلوله الحيوي لا يُتَذَوَّقُ إلا في ضوء المألوف من نظام العبارة وتكوينها النحوي[2].

ومن الاحتياط للمعنى باستعمال التوكيد المعنوي في شعر عنترة قوله [3]:

بَـــرَّحَ بِـــالْعَيْنَيْنِ كُـــلُّ مُغِيـــرَةٍ أَسِنَّتُهَا مِـــنْ قَـــانِي الـــدَّمِ تَـــرْدُمُ
أُمَارِسُ فِيْهَا ابْنَـــيِ قُـــشَيْرٍ كِلَيْهِمَـــا بِرُمْحِيَ حَتَّى بَـــلَّ عَامِلَـــهُ الـــدَّمُ

يقول عنترة: إن الذي دفعه للسهر هو إغارة خيل شيبان وصعصعة ابني قشير، واستبانة أسنتها للدم حتى قطر من أطرافها، وقد دافع هذه الخيل حتى ظفر بابني قشير كليهما وبلّ رمحه بدمهما. والمعنى الذي يرمي إليه من البيتين هو أنه ظفر بابني قشير مجتمعين غنيمة واحدة وليس أحدهما دون الآخر، ولمَّا كان الأمر كذلك فقد احتاط للمعنى بذكر التوكيد المعنوي (كليهما) المضاف إلى الضمير العائد على المؤكد (ابني قشير) المثنى، وكان بإمكانه أن يقول: أمارس فيها ابني قشير، غير أن المخاطب قد يظن أنه ظفر بأحدهما دون أخيه، فاحتاط لذلك بذكر التوكيد المعنوي(كلا)، ومبدع النص سواء أكان شاعرا أم كاتبا يحاول " أن يفتن قارئ النص – ويجذبه إليه بطريقة

([1]) د. تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٢٦.

([2]) السابق، ص: ١٥٥.

([3]) الديوان، ص١٣٩-١٤٠.

ما، ولا يستطيع أحد أن يقف أمام نصٍّ من هذه النصوص إلا إذا كان هذا النص جذبه إليه، واستولى عليه وحصره، بحيث لا يجد عنه فكاكًا ولا منه مهربًا..."[١].

٢ – الاحتياط للمعنى النصي بالتوكيد اللفظي:

يكون التوكيد اللفظي بتكرار اللفظ المراد تقريره وتثبيته لدى المخاطَب، ويجري في الكلام كله، على الأسماء والأفعال، والحروف. واللفظ الذي يقع في الكلام توكيدا لفظيا لا تؤثر فيه العوامل النحوية، وتسري عليه الأحكام الإعرابية التي تكون للفظ المؤكَّد.

وقد ذكر د. إبراهيم الخولي أن " المكرر يمكن أن يكون لفظة واحدة أو تركيبا غير تام – بعض جملة – ويمكن أن يكون جملة تامة أو أطول منها – جمل تضامت حتى صارت كلاً لا يتجزأ – ووحدة التكرار بهذا الضبط يمكن أن تحدد لنا أطر السياق التي تضعها على الوجه الذي يجعلها تكرارًا مقصودًا لغرض من الأغراض التي يتوسل لتحقيقها بالتكرار"[٢]، وقد ورد استعمال التوكيد اللفظي في شعر عنترة احتياطًا للمعاني التي أرادها الشاعر، ويمكن العرض لذلك على النحو التالي: يقول عنترة[٣]:

فَبِـــاللهِ يَـــا رِيْـــحَ الحِجَـــازِ تَنَفَّـــسِي عَلَى كَبَـدٍ حَـرَّى تَـذُوبُ مِـنَ الوجْـدِ
ويَا بَرْقُ إِنْ عَرَّضْـتَ مِـنْ جَانِـبِ الْحِمَـى فَحَيِّ بَنِي عَبْسٍ عَلَـى العَلَـمِ السَّعْدِيِّ
وَإِنْ خَمَـــدَتْ نِيْـــرَانُ عَبْلَـــةَ مُوهِنـــاً فَكُنْ أَنْـتَ فِـي أَكْنَافِهَـا نَيِّـرَ الْوَقْـدِ

والشاهد في البيت الثالث في قوله: فكن أنت، حيث أتى بضمير المخاطب (أنت) مؤكداً به ضمير المخاطب المستتر وجوبا (أنت) وهو اسم (كان) في محل رفع وخبرها (نير) ولا يجوز أن يكون الضمير الظاهر (أنت) اسماً لـ (كن) لأنَّ استتار الضمير هنا واجب، لكون الفعل فعل أمر، ومن ثم رُجِّحَ التوكيد اللفظي، وقد صرَّح به احتياطًا للمعنى الذي يريده من مخاطبة البرق مؤملاً منه أن يظلَّ في إنارته خدمةً لمحبوبته، وكان باستطاعة الشاعر أن يستغني عن الضمير المذكور اكتفاء بالمستتر، لكنه أدرك أن استغناءه عن الضمير المذكور لن يخدمه في تأدية المعنى المراد من مناشدته للبرق

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف: فتنة النص (بحوث ودراسات)، ص ٧.
(٢) التكرار بلاغة، ص ٧٢.
(٣) الديوان، ص٦٦.

دون غيره بأن يظل على حاله من الإنارة خصوصا بعد أن خمدت نار عبلة بعد منتصف الليل.

هذا وقد أثبت التحليل النحوي التركيبي المقترن بالتحليل الدلالي لمثل هذه الأبيات على نحو ما سبق أن النحو يمثل " استراتيجية قادرة على اكتناه الأشكال النصية بحثاً عن السلطات المتحكمة بمنظومة العلاقات التي يحتكم إليها النسق، وبهذا يستطيع النحو وفق هذا المفهوم أن يفتح أفقًا واسعًا على تدارس مستويات النص بحثًا عن تموضعات الأبنية وفك رموزها، ويقرأ العلاقات المتشابكة لاكتشاف التجليات الجمالية الناتجة عن تشكلات النسق واكتناه علاقة الدال بمدلوله "[1].

ومن الاحتياط للمعنى النصي باستعمال التوكيد اللفظي في ديوان عنترة قوله [2]:

سَلِ المَشْرِفيّ الهُنْدوَانِيّ فِي يَدِي يُخْبِرُك عَنِّي أَنَّنِي أَنَا عَنْتَرُ

والشاهد في قول الشاعر: أنني أنا عنتر، فقد أكد لفظيا بضمير المتكلم المفرد (أنا) ضمير المتكلم المتصل بـــ (أنَّ) الناصبة، وفى الإتيان بالتوكيد اللفظي احتياط وتأكيد للمعنى المراد؛ وهو الفخر بنفسه وبقوته للدرجة التي جعلت السيوف على اختلاف مصادرها تعرفه.

ومن التوكيد اللفظي المحتاط به للمعنى النصي قول عنترة [3]:

وَقُلْتُ لِمُهْرِي وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا تَنَبَّهْ وَكُنْ مُسْتَيْقِظاً غَيْرَ نَاعِسِ
فَجَاوَبَنِي مُهْرِي الْكَرِيْمُ وَقَالَ لِي: أَنَا مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ، فَكُنْ أَنْتَ فَارِسِي

فالشاعر ينبِّه فرسَه أن يكون مستيقظًا وقت اللقاء، فيجيبه: إنه من أجود الخيل، وما عليه إلا أن يكون هو فارسه، وموضع الشاهد في الإتيان بالضمير المنفصل للمفرد المخاطب(أنت) مؤكداً لفظيًا للضمير المستتر في الفعل الأمر(كن)، وقد احتاط الشاعر بذكر التوكيد اللفظي للمعنى الذي يريده وهو أن فرسه مستيقظ غير ناعس، وأنه هو الفارس المغوار وقت اللقاء. وقد أتى الشاعر بالضمير من باب التوكيد اللفظي تقوية للمعنى

([1]) د. عبد الله عنبر، النحو مفتاح لاكتناه عالم التخفي النصي عبر مزايا التجلي، ص٥، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، الجزء الثاني والثلاثون، العدد الثاني، الأردن، ٢٠٠٥م.

([2]) الديوان، ص٨٠.

([3]) الديوان، ص٨٨.

المراد من الكلام وهو التوكيد أو الاختصاص، فالاختصاص يراد به إثبات معنى لشيء دون غيره (وهو هنا إثبات قيادة الفرس لعنترة دون غيره)، وأتى بالضمير كذلك لإمكان العطف على الضمير المرفوع ورفع اللبس، وهذا هو الضمير الذي يؤتى به لتأكيد الضمير المستتر، وقد ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ (البقرة: ٣٥) فعُطف (زوجك) على الضمير المستتر في (اسكن) بعد تأكيده بالضمير (أنت)، ومثله قوله تعالى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ (المائدة: ٢٤).

وقد ورد في الكافية أن التأكيد في العربية له أحد أغراض ثلاثة: " أن يدفع المتكلمُ ضررَ غفلة السامع عنه، وأنْ يدفعَ ظنَّهُ بالمتكلمِ الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلابد أن يكرر اللفظ الذي ظن غفلة السامع عنه، أو ظنَّ أنَّ السامعَ ظنَّ به الغلطَ فيه، تكريراً لفظياً، نحو: ضرب زيد زيد، أو ضرب ضرب زيد، ولا ينجع ههنا التكرير المعنوي... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظنَّ السامعِ به تَجَوُّزاً"[١].

ومن الاحتياط للمعنى باستعمال التوكيد اللفظي قول عنترة [٢]:

إِنِّي أَنَــا لَيْــثُ الْعَــرِيْنِ وَمَــنْ لَــهُ قَلْــبُ الْجَبَــانِ مُحَيَّــرٌ مَــدْهُوشُ
إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْــفَ يَنْظُــرُ صُــورَتِي يَــوْمَ الْقِتَــالِ مُبَــارِزٌ وَيَعِــيْشُ

والشاهد في هذا البيت أنه أكد الضمير المتصل المنصوب في قوله (إني) بالضمير المنفصل (أنا) توكيداً لفظيًا، وقد احتاط الشاعر بذلك التوكيد للمعنى المراد وهو إبراز قوته وشجاعته. ويحضرني هنا قول للزمخشري يبين جدوى التأكيد في مثل هذه التراكيب، يقول فيه: " وجدوى التأكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة أو ذهابًا عما أنت بصدده فأزلته"[٣].

---

(١) الأستراباذي: رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٨هـ)، شرح الرضي على الكافية، ٣٥٧/٢ – ٣٥٨، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ط٢، ١٩٩٦م.

(٢) الديوان، ص ٨٩.

(٣) الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص ١١١ – ١١٢.

ومن صور الاحتياط للمعنى النصي باستعمال التوكيد اللفظي قول عنترة:

أَبَيْنَا أَبَيْنَا أَنْ تَضِبَّ لِثَاتُكُمْ على مُرْشِفَاتٍ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِيَا[1]

والمعنى أن عنترة وقومه منعوا نساءهم من أعدائهم والمرشفات: النساء الطوال، وأصل المعنى: الظباء تمد أعناقها وتنظر وتمد أيديها وهي قائمة على أرجلها لتناول الثمر. والشاهد هنا هو توكيد الجملة الفعلية (أبينا) في مطلع البيت بجملة فعلية مثلها تماما، وقد احتاط الشاعر بالتوكيد اللفظي للمعنى النصي الذي أراده، وهو التأكيد على رفضهم التام تسليم نسائهم لعدوهم والمحافظة عليهن وإكرامهن، ويلاحظ على هذا الشاهد أن التوكيد اللفظي لم يقترن بعاطف كما هو الأكثر في استعماله، على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ (التكاثر ٣ – ٤) وقوله تعالى: ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾ (القيامة: ٣٤ – ٣٥)، وقوله تعالى:﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾ (الانفطار: ١٧– ١٨) فأكدت الجمل في الآيات الكريمة توكيدا لفظيا مع وجود العاطف، في حين وردت في بيت عنترة بدون عاطف.

وقد عدَّ الرضي مثل بيت عنترة من توكيد المفرد (تكرير المفرد) لا الجملة لعدم وجود حرف العطف، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

فأَيْنَ إِلَى أَيْنَ النَّجَاءُ بِبَغْلَتِي أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُونَ احْبِسِ احْبِسِ[2]

وقد أجاز البغداديُّ أن يكرر المضارع دون وجود حرف عطف (فاصل) قال: " على أن المستقبل يجوز تكريره بلا فصل، والظاهر أن المراد أنه من تكرير – توكيد – المفردات لا الجمل، وهو الظاهر أيضًا من كلام ابن جنِّي في إعراب الحماسة، قال: أول البيت توكيد الاستفهام، وفى الثاني توكيد الخبر، وفى آخره توكيد الأمر. وقال ابن الشجري في أماليه: هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمل، أراد: إلى أين تذهب إلى أين تذهب أتاك أتاك اللاحقون، احبس احبس"[3].

---

(1) الديوان، ص ٢١٥.

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية، ٣٦٦/٢.

(3) البغدادي: عبد القادر بن عمر(ت:١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، ٣٥٣/٢، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

٣ – الاحتياط للمعنى النصي بالمفعول المطلق المؤكِّد لعامله:

يأتي المفعول المطلق في العربية مؤكداً لعامله، أو مبيناً للنوع، أو مبيناً للعدد. وقد سُمِّيَ المصدر بعد فعله في الجملة بالمفعول المطلق؛ لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود، وصيغة الفعل تدل عليه، والأفعال متعدية إليه سواء كانت تتعدى الفاعل أم لا تتعداه، فيُنْصَبُ هذا المصدر بالفعل أو بمثله. فإذا ما وُجد الفعل مع المصدر في جملة أو عبارة، فإنَّ الفعل أو الحدث كأنَّه كُرِّرَ مرتين؛ أي ذكر الحدث مرة في الفعل ومرة أخرى في المصدر، وهذا التكرار مراد به التوكيد [١].

وينقسم المفعول المطلق من حيث أدائه لوظيفة تركيبية دلالية إلى قسمين، الأول: مبهم، نحو: ضربت ضربًا، فالمفعول المطلق هنا لمجرد توكيد الحدث المفهوم من الفعل (ضرب)، فالحدث ذكر مرتين، مرة في الفعل وأخرى في المفعول المطلق، وهذا هو المعنى المراد من العبارة فقط، ولا يفهم من هذه العبارة معنى آخر كبيان نوع الضرب وكيفيته وكميته، ولهذا قالوا عنه: إنه مبهم [٢].

والقسم الثاني من قسمي المفعول المطلق هو: مؤقت؛ أي: الذي يدل على الكيفية، والكمية، والنوع، وهذا النوع لا يعد مؤكدًا للفعل، لأنه لم يقصد به توكيد الحدث الذي يدل عليه الفعل، وإنَّما يُؤْتَى به لبيان الكيفية أو الكمية أو العدد [٣].

وقد استعمل عنترة المفعول المطلق في عدة أبيات شعرية محتاطا به للمعنى النصي الذي يريده، ويمكن العرض لذلك على النحو التالي: قال عنترة [٤]:

وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالُ حَوْلِي تَهُزُّ أَكُفُّهَا السُّمْرَ الصِّعَادَا
وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا وَنَارُ الْحَرْبِ تَتَّقِدُ اتِّقَادَا
وَعُدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادِي وَكَرْبُ الرَّكْضِ قَدْ خَضَّبَ الْجَوَادَا

فهذه الأبيات يُلْقِي فيها عنترةُ الظلالَ على خوضه للحرب ومن حوله الأبطال وإقدامه شجاعةً على أعدائه في ذروة المعركة، ثم عودته وقد ظفر بهم وخُضِّبَ بدمهم،

---

(١) ينظر: د. محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ٨٠ –٨١، مكتبة لبنان، د.ت.

(٢) ينظر: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، ص ٨١.

(٣) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ٨٤.

(٤) الديوان، ص٤٩.

كما خُضِّبَ فرسه بدمهم كذلك، وقد استعمل المفعول المطلق في البيت الثاني في قوله: ونار الحرب تتقد اتقادا، فاحتاط به للمعنى الذي يريده، وهو خوضه للحرب وشدتها وعدم تردده، وقد كان يكفيه التعبير بالفعل (تتقد) فيقول: ونار الحرب تتقد، لكنه أكد الفعل بالمصدر (المفعول المطلق)، ليؤكد أن الفعل حدث حقيقة لا توهمًا ولا خيالاً ردًا على من يتوهم أنه ليس على حقيقته، وقد أكد الحدث في البيت بذكره مرتين، مرة عن طريق الفعل (تتقد)، ومرة أخرى عن طريق المفعول المطلق(اتقاداً).

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر المفعول المطلق قول عنترة [1]:

ظَنَنْتُم يَا بَنِي شَيْبَانَ ظنًّا فأَخْلَقَ ظَنَّكُم جَلَدي وَصَبْرِي

فظنُّ بني شيبان السيئ في قوة عنترة قد تحطَّم على صخرة جَلَدِه وصبره في مواجهتهم.

وقد احتاط الشاعر للمعنى الذي يريده بالنص على المفعول المطلق (ظنًا) المؤكد لعامله (ظن)، ومن ثم فإن المراد من المفعول المطلق هنا توكيد الحدث بذكره مرتين، إذ لو ذكر الفعل لكان تكراراً للجملة، فالفعل يحتاج إلى فاعل، كما أنه يدل على زمن وحدث، وبهذا تكون الجملة هي التي كررت، فأتى بالمصدر عوضًا عن هذا كله، وعوضًا عما لا حاجة إليه في الكلام.

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر المفعول المطلق المؤكد لعامله قول عنترة [2]:

إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ القِنَاعَا وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعَا
فَلا تَخْشَ الْمَنِيَّةَ وَالْقَيْنَهَا وَدَافِعْ مَا اسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا

فالشاعر يوجه حديثه لمن أصيب بأهوال الدهر ونوائبه ناصحًا إياه بألا يخشى من الموت، وليدافع عن نفسه ويدفع عنها الموت ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وقد أتى بالمفعول المطلق (دفاعًا) المؤكد لعامله (دافع) محتاطاً به للمعنى النصي المراد وهو التأكيد على الحدث (الدفاع عن النفس)، وكان باستطاعة الشاعر أن يأتي بكلمة أخرى غير المفعول المطلق، فيقول ودافع ما استطعت لها سبيلاً، وكانت كلمة (سبيلاً) ستقيم الوزن(من الوافر) وكذلك القافية، لكنها لن تعطي دلالة التأكيد على الحدث كما هو

(1) الديوان، ص ٨٦.

(2) الديوان، ص ٩٠.

الحال مع ذكر المفعول المطلق (دفاعًا)، ولمَّا كان الأمر في البيت موجهاً للتركيز على الحدث المراد وهو دفع الموت، فقد أكد الحدث بمؤكدين، الفعل الأمر (دافع)، والمفعول المطلق (دفاعًا).

ومثله قول عنترة [1]:

أَلا يَا عَبْـلَ لَـوْ أَبْـصَرْتِ فِعْلِـي وَخَيْـلُ الْمَـوْتِ تَنْطَبِـقُ انْطِبَاقَـا
سَلِي سَيْفِي وَرُمْحِـي عَـنْ قِتَـالِي هُمَا فِي الْحَرْبِ كَانَـا لِـي رِفَاقَـا

والشاهد في البيت الأول في قول الشاعر: تنطبق انطباقا، فقد أكد الحدث الواقع مع الفعل (تنطبق) بالمفعول المطلق (المصدر) انطباقا، احتياطا للمعنى النصي المراد من البيت الشعري؛ وهو إظهار شجاعة عنترة وقت احتدام الأمر وشدته في الحرب. ذكر ابن السراج في أصوله: "إنك لو قلت: قمت قيامًا، وجلست جلوسًا، فليس في هذا أكثر من أنك أكدت فعلك بذكرك مصدره"[2]، والاحتياط بالمفعول المطلق في هذا الشاهد والشواهد السابقة عليه غرضه توجيه سمع المخاطَب إلى الحدث. ومثله – أيضا – قول عنترة [3]:

وَلَقَدْ حَمَلْتُ عَلَـى الأعَـاجِمِ حَمْلَـةً ضَجَّتْ لَهَـا الأمْـلاكُ فِـي الْـأَفْلاكِ
فَنَثَـرْتُهُمْ لَمَّـا أَتَـوْنِي فِـي الْفَـلا بِـسِنَانِ رُمْـحٍ لِلـدِّمَا سَـفَّاكِ

الشاهد في البيت الأول في قول الشاعر: حملت على الأعاجم حملةً، فقد أكد الحدث في الفعل (حمل) بمصدره (حملة) احتياطًا للمعنى النصي المراد وهو تأكيد الهجوم على العدو. والإتيان بالمفعول المطلق هنا تأكيد لوقوع الحدث، إذ يمكن له أن يقول: حملت على الأعاجم، ولم يحمل عليهم حقيقة، لكنه لمَّا قال: حملةً، مصرحًا بالمفعول المطلق دلَّ ذلك على وقوع الحدث حقيقةً لا مجازًا، ويحضرني هنا قول ابن عصفور:" والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث هو التوكيد بالمصدر، نحو قولك:

---

(1) الديوان، ص١٠٤.

(2) ابن السراج: أبو بكر (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، ١/١٦٠، تحقيق: د. عبد المحسن الفتلي، مطبعة النعمان، العراق، ط١، ١٩٧٣م.

(3) الديوان، ص ١١١.

مات زيد موتًا، وقتلت عمرًا قتلاً، وذلك أن الإنسان قد يقول: مات فلان مجازًا، وإن لم يمت، أي كاد يموت، وكذلك قتلت زيدًا، قد يقوله ولم يقتله، أي بلغت به القتل، فإذا قال: مات عمرٌ موتًا، وقتلت زيدًا قتلاً كان الموت والقتل حقيقيين" [١]، فذكر المفعول المطلق احتياطًا لوقوع الحدث المراد وتوكيداً له وإزالة ما قد يقع من شك في ذهن المخاطب.

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر المفعول المطلق قول عنترة [٢]:

وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حُرَيْقَةَ نَكْبَةً لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الأَخْيَلِ

والشاهد في البيت في الشطر الأول في قوله: نكبت ... نكبة. فقد أكد وقوع الحدث المعبر عنه بالفعل (نكب) وذلك عن طريق المفعول المطلق المؤكد لعامله (نكبة)، وقد احتاط بذلك المفعول المطلق للمعنى المراد؛ وهو تأكيد وقوع الحدث حتى لا يظنُّ ظانٌ أن الفعل الذي ذكره الشاعر لا يشترط أن يكون حدثَه قد وقع، فأتى بالمفعول المطلق لإزالة هذا الظن وتأكيد وقوع الحدث، وقد اشترط بعض النحاة في المفعول المطلق المؤكد لعامله " أن يكون استعماله مقصوراً على الحالة التي يكون فيها معنى عامله موضع غرابة أو شك، فيزيل المصدر المبهم تلك الغرابة وذلك الشك، فلا يقال مثلا: شربت شربًا، وأكلت أكلاً، ونحوهما؛ لأن الفعل ليس موضع غرابة، في حين نجد أن مثل: طارت السمكة طيرًا، حسن فيه المجيء بالمصدر المؤكد لغرابة عامله وتشكك السامع في صحته " [٣].

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر المفعول المطلق قول عنترة [٤]:

فَهُنَاكَ أَطْعَنُ فِي الْوَغَى فُرْسَانَهَا طَعْناً يَشُقُّ قُلُوبَهَا وَكُلاهَا

والشاهد في قوله: أطعن... طعنًا، فقد أتى بالمفعول المطلق (طعنًا) ليؤكد به وقوع الحدث الوارد في الفعل (أطعن) وهو حدث الطعن، وقد احتاط بالمفعول المطلق المؤكد لعامله بوقوع الحدث، فقد يذكر أنه طعن ولم يقع منه طعن، ولكن إتيانه

---

(١) ابن عصفور: علي بن مؤمن بن محمد (ت ٦٦٩هـ)، شرح جمل الزجاجي، ٢٦٣/١، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، د.ن، ١٩٧١م.

(٢) الديوان، ص ١٣٤.

(٣) عباس حسن، النحو الوافي، ٢٠٨/٢.

(٤) الديوان، ص٢١١

بالمفعول المطلق بعده يغلق الباب أمام كل احتمالٍ غير الطعن، ويؤكد أن الطعن وقع على سبيل الحقيقة لا محالة [١].

ومن اللافت للنظر كثرة صور الاحتياط للمعنى النصي في شعر عنترة باستعمال المفعول المطلق، الأمر الذي يدفعني للقول بأن هذا الأمر يعد ملمحًا من ملامح التماسك النصي في شعره، ذلك التماسك " الذي نلحظ معه الترابط الدلالي بين البيت والذي يليه، وبين البيت والبيت السابق عليه، حتى تشعر أن القصيدة كلها وحدة واحدة مترابطة، ومع هذا فإن الاعترافَ بنصيه القصيدة لا يلغي الدراسات التحليلية، ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالنصية، وفى تراثنا العربي ما يشير إلى الجمع بين المنهجين"[٢]، ودراسة الأبيات الشعرية وفق هذا المعيار من الترابط بين النحو والدلالة " تخلق بنية النص، هذه البنية لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات، ولكنها تملك تنظيمًا خاصًا من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها تخصها "[٣].

٤ – الاحتياط للمعنى النصي باستعمال التراكيب المتضادة:

يحفل شعر عنترة بكثير من الأبيات الشعرية الناشئة عن ضرورة نفسية وجمالية لها قدرة كبيرة على التأثير في نفس المتلقي (المخاطَب)، وهذه الأبيات يرد فيها صور للاحتياط للمعنى النصي المراد من الشاعر عن طريق إثبات الشيء ونفي ضده، أو عن طريق نفي الشيء وإثبات ضده. فالشاعر يدرك القيمة الجمالية الكامنة في اللفظة الواحدة، فيبرزها بكل ما أوتي من بيان محاولا بذلك إثارة وعي المتلقي وإدراكه، ويزداد وعي المتلقي وتزداد إثارته إذا ضُمِّنَ الكلام بألفاظ تحمل في طياتها دلالة التضاد، وقيمة التضاد الجمالية لا تبرز " إلا إذا أُدخل في بنية النص، ليخلق قيمته الفنية المتمثلة في قدرته على استنطاق الشعور، عن طريق الإبانة الخاطفة عن وجهي الحياة أو الأشياء، وفى هذه الإبانة تتآزر مختلف وسائل التركيب اللغوي"[٤].

---

(١) من صور الاحتياط للمعنى النصي بذكر المفعول المطلق، يمكن الاطلاع على الديوان، ص ٨١، ص ٨٦، ص ١٠٣، ص ١١٧.

(٢) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص٤ (مقدمة أ.د / تمام حسان)، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

(٣) د. أحمد عفيفي: نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ٩٧، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

(٤) د. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص ٢١٦، منشأة المعارف، الإسكندرية.

هذا وقد وردت شواهد شعرية كثيرة في شعر عنترة تبرز هذا النمط من الاحتياط للمعنى النصي، الأمر الذي يشير إلى إدراك الشاعر لطبيعة هذا النمط من الاحتياط ووظيفته الدلالية، وقدرته على توصيل المعاني المرادة للمتلقي، ومن ذلك قوله [١]:

لَئِنْ أَكُ أَسْوَداً فَالْمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لِسَوَادِ جِلْدِي مِنْ دَوَاءِ
وَلَكِنْ تَبْعُدُ الْفَحْشَاءُ عَنِّي كَبُعْدِ الأَرْضِ عَنْ جَوِّ السَّمَاءِ

يبدو عنترة في هذين البيتين مدافعًا عن لونه غير المرغوب فيه من قبيلته، فسوادُ اللون لا يعيبه ولا يضرُّهُ في شيء، وهو منزَّهٌ عن كل فحش ورذيلة، وقد استثمر الشاعر بنية التضاد في البيت الثاني (الأرض)، (السماء) محتاطًا بها للمعنى النصي الذي يريده، وهو: أنه وإن كان أسود اللون، فإنه عفيفُ النفس شريفُها، والناس لا يتفاضلون بألوان أجسادهم وإنما بفعالهم وحسن أخلاقهم، فأعداؤه إن كان يعيبون عليه سواد لونه، فإن فعالهم الموصوفة بالخبث والفحش أسود من لون جلده.

ومنه كذلك قول عنترة [٢]:

تُعَيِّرُنِي الْعِدَى بِسَوَادِ جِلْدِي وَبِيضُ خَصَائِلِي تَمْحُو السَّوَادَا

والتضاد قائم في البيت بين (سواد جلدي) و(بيض خصائلي)، وقد احتاط الشاعر بالتضاد هنا لمعنى يريده، وهو: إظهار قلة اهتمامه بما يُعَيَّرُ به من أعدائه، وهذا النوع من التضاد يسمى: التضاد المركب ونعني به: " قيام كل شيء من شقيه المتضادين أو أحد شقيه على عنصرين متقابلين أو أكثر، مما يجعله يؤدي دوراً مزدوجاً، به تتبين حالات التوتر والصراع"[٣]. وما أكثر أبنية التضاد المركب في شعر عنترة لكثرة حالات التوتر والصراع التي عايشها.

ومن التضاد المحتاط به للمعنى النصي في شعر عنترة قوله [٤]:

ألا يَا عبْلَ قَدْ زَادَ التَّصَابِي وَلَجَّ الْيَوْمَ قَومُكِ فِي عَذَابِي

---

(١) الديوان، ص٢٢.

(٢) الديوان، ص٤٩.

(٣) د. السيد عبد السميع حسونة، أبنية التضاد في شعر عنترة بن شداد، ص ٥٦٨، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (٤)، العدد (٢)، يوليو ٢٠١١م، رجب ١٤٣٢هـ.

(٤) الديوان، ص ٣٤.

وظــلَّ هَــوَاكِ يَنْمُــو كُــلَّ يَــوْمٍ كَمَا يَنْمُــو مَــشِيْبِي فِــي شَــبَابِي
وَلاقَيْتُ الْعِــدَى وَحَفِظْــتُ قَوْمــاً أَضَاعُونِي وَلَــمْ يُرَعُــوا جَنَــابِي

والشاعر هنا يشكو قومَه لمحبوبته، مكثراً من صور التضاد، ففي البيت الثاني التضاد بين (مشيبي) و(شبابي)، وفى البيت الثالث يأتي التضاد بين (حفظ)، و(أضاع) وقد احتاط الشاعر بالتراكيب المتضادة للمعنى الذي يريده، وهو إبراز أن الحياة صارت مداراً للصراع بين الأضداد.

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر التراكيب المتضادة قول عنترة [1]:

حَــسَنَاتِي عِنْــدَ الزَّمَــانِ ذُنُــوبُ وَفِعَــــالِي مَذَمَّــــةٌ وَعُيُــــوبُ
وَنَــصِيْبِي مِــن الْحَبِيْــبِ بعَــادُ وَلِغَيْــرِي الــدُّنُوُّ مِنْــهُ نَــصِيْبُ

فالشاعر في هذين البيتين يشكو زمانه من جهةٍ، ومحبوبته من جهةٍ ثانيةٍ، ففي الوقت الذي تبخلُ عليه بحبها وقربها، فإنها تدنو من غيره وتقترب، وقد وردت تراكيب متضادة في البيتين. ففي البيت الأول التضاد قائم بين (حسنات) و (ذنوب)، وفى البيت الثاني التضاد قائم بين (بعاد) و(دنو)، وهذه الثنائيات المتضادة تبوح لنا " بحالة يأسه النفسي على نحو من الاعتراف الضمني الذي لا يستطيع أن يصمد أمامه التماسك الزائف والبطولة المزعومة، والثبات المشكوك فيه، فلم تكن هذه الثنائيات المتضادة ... إلا تعميقا للصراع النفسي الذي يعيشه الشاعر"[2]. فالشاعر احتاط للمعنى النصي المراد وهو إظهار الصراع النفسي الذي يعيشه ويحيا في قلبه باستعمال التراكيب المتضادة.

إن حرص عنترة على استعمال التراكيب المتضادة في شعره يمثل " تكتيكًا أسلوبيًا ساعده في الكشف على جدية تباينية في النص تدل على تباين الواقع، فجاء أسلوب التضاد ضمن بنية متشابهة لحمل هذا التباين وبثه بثًا متوهجًا، يُخْرِجُ الحدثَ من المتوقع إلى اللامتوقع. ومن جهة أخرى يؤثر في قدرة المتلقي من حيث إثارة إقباله الفضولي عليه؛ لأنه بحكم طبيعته المجبولة على الطموح المعرفي، يحب الوقوف على

(1) الديوان، ص٢٧.

(2) أبنية التضاد في شعر عنترة بن شداد، ص ٥٦٧.

التحولات العجيبة بين النقائض، سواء كان ذلك في جماد الطبيعة، أوحيها، أو المعقولات، أو الأخلاق من رذائل وفضائل"[١].

ومن الاحتياط للمعنى باستعمال التراكيب المتضادة في شعر عنترة قوله [٢]:

وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَنْزِلاً تَعْلُو بِهِ أَوْ مُتْ كَرِيْماً تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
فَالْمَوْتُ لا يُنْجِيْكَ مِنْ آفَاتِهِ حِصْنٌ وَلَوْ شَيَّدْتَهُ بِالْجَنْدَلِ
مَوْتُ الْفَتَى فِي عِزِّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَبِيْتَ أَسِيْرَ طَرْفٍ أَكْحَلِ

وقد أتت التراكيب المتضادة متعاقبة في هذه الأبيات، ففي البيت الأول جاء التضاد بين كلمة (تعلو) وكلمة (تحت)، وفى البيت الثاني بين كلمة (الموت) و كلمة (حصن) التي هي رمز للهروب من الموت، وفى البيت الثالث بين كلمة (عزة)، وكلمة (أسير) رمز الذلة، والتضاد القائم بين هذه الكلمات يسهم في الاحتياط للمعنى النصي المراد، والشاعر لا يهدف من وراء هذه البنى المتضادة إلى " إبراز المخالفة وحسب، فالتضاد في بنيته يحمل دلالات عميقة تتناسب وما يحمله الشاعر من صراعات وتناقضات جعلته يعيش في قلق دائم، وكأنه قد حمل هذه المتضادات وبدا بمحاكاتها عن طريق تضاداته اللغوية "[٣].

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر الثنائيات المتضادة في شعر عنترة قوله [٤]:

يَا نَازِلِينَ عَلَى الْحِمَى وَدِيَارِهِ هَلَّا رَأَيْتُم فِي الدِّيَارِ تَقَتُّلِي
قَدْ طَالَ عِزُّكُمُ وَذُلِّي فِي الْهَوَى وَمِنَ الْعَجَائِبِ عِزُّكُمْ وَتَذَلُّلِي
لا تَسْقِنِي مَاءَ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِالْعِزِّ كَأْسَ الْحَنْظَلِ
مَاءُ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّمٍ وَجَهَنَّمٌ، بِالْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

يلاحظ تعدد التراكيب المتضادة في هذه الأبيات الأربعة، ففي البيت الثاني ورد التضاد بين عزهم في الهوى وذله فيه، وفى الشطر الثاني من البيت نفسه ورد التضاد

---

(١) رئيف خوري، الأدب المسئول، ص ٦٤، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨م.
(٢) الديوان، ص ١٣٤.
(٣) أبنية التضاد في شعر عنترة بن شداد، ص ٥٦١.
(٤) الديوان، ص ١٣٥.

بين عزهم وذله، وفى البيت الثالث التضاد موجود بين عيش بذلة، وعيش بعز، وفى البيت الأخير قائم بين حياة ذليلة وجهنم بعز. وقد أحدثت هذه التراكيب المتناقضة نوعا من الصراع النفسي والتوتر القوي في نفس الشاعر، وقد تعددت التراكيب المتضادة في البيت الواحد إبرازًا لضرورة نفسية وهي: " وضع صورة مأساوية للحالة التي يمر بها الشاعر، فهي متضادات متوالية غرضها إحداث تأثير في نفس المتلقي، يتسم بالفورية والمباشرة؛ لأن هذه البنى المتضادة بسيطة لا تحتاج إلى إعمال الذهن لمعرفة مواضعها أو إدراك دلالاتها "[١].

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر التراكيب المتضادة قول عنترة[٢]:

دَعُونِي فِي الْقِتَالِ أَمُتْ عزيزاً فَمَوْتُ الْعِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ
سَتَذْكُرُنَا الْمَعَامِعُ كُلَّ وَقْتٍ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ

ذكر الشاعر في البيت الأول صورة للبنى التركيبية المتضادة، فأتى بالموت والحياة (موت لعز) و (حياة لذل)، وعكس المتضادات في البيت الثاني (الحياة)، و(الممات) محاولاً بذلك أن يحتاط للمعنى النصي الذي أراده، وهو الحرص على الموت في عزٍّ، وعدم رغبته في حياة ذليلةٍ، والشاعر من خلال هذه المتناقضات ينقل لنا الحياة بكل صراعاتها، وهذه التناقضات قادرة "على إماطة اللثام عن تباين الواقع المعيش والأمل المنشود، فهي التي تكشف سلبيات الواقع وتساعد الشاعر على بلورة موقفه الفكري الذي يحمل تطلعاته نحو أفق مشرق..."[٣].

وقد يرد التضاد عند عنترة عن طريق ذكر الشيء وتأكيده بنفي ضده، ومن ذلك قوله[٤]:

خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيْدِ أَشَدُّ قَلْباً وَقَدْ بَلِي الْحَدِيْدُ وَمَا بَلِيتُ

---

(١) أبنية التضاد في شعر عنترة بن شداد، ص ٥٦٢.
(٢) الديوان، ص٣٩.
(٣) د. عاصم محمد أمين، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، ص ٩٩، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م.
(٤) الديوان، ص ٣٨.

فالتضاد قائم بين (بلي الحديد) و(ما بليت)، فأثبت الفعل(بلي) لغيره(الحديد) ونفاه عن نفسه باستعمال(ما) النافية، احتياطاً لمعنى نصي يريده، وهو إثبات قوته وشجاعته وصموده على الدوام. ومنه كذلك قوله [1]:

فَذَاكَ الذِّكْرُ يَبْقَى لَيْسَ يَفْنَى مَدَى الْأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَآتِ

فالتضاد قائم بين (ماضٍ) و(آتٍ)، وكذلك بين (يبقى) و(يفنى) المنفى بـــ (ليس)، وهو احتياط للمعنى بالتأكيد على بقاء الذكر وعدم فنائه، ويبدو هذا النوع من التضاد متناقضًا مع سياقه الوارد فيه؛ وذلك بهدف السخرية والاستهانة من العدو بطريق غير مباشر.

ومن صور التضاد المحتاط بها للمعنى في شعر عنترة قوله [2]:

لَهَوْتُ بِهَا وَاللَّيْلُ أَرْخَى سُــدُولَهُ إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الــصَّبَاحِ الْمُــبَلَّجُ
وتَحْتِي مِنْهَا سَاعِدٌ فِيــهِ دُمْلُــجُ مُضِيءٌ، وَفَوْقِي آخَــرُ فِيــهِ دُمْلُــجُ

والتضاد معقود في البيت الأول بين الليل وضوء الصبح، وقد احتاط به الشاعر لمعنى يريده وهو تبدُّلُ الحال وتغيره ما بين الليل والنهار، فإذا كان الليل هو زمن اللهو، فإنَّ النَّهار زمن الإعلان وفضح الأفعال، " فالدهر ذلك المدمر الباقي، ما هو إلا تداولُ ليلٍ ونهار، بمعنى حركة الأضداد، فالضد الغائب يستحضر لزوميته، وبالاستحضار هذا يغيب الحاضر ويحضر الغائب... إنها تداولية دائرية، وفى هذه التداولية تكون الظلمة بدلالاتها المباشرة والعميقة، ويكون – أيضا – الإصباح والضوء باختلاف دلالاته "[3]، ويظهر التضاد في البيت الثاني بين لفظتي (تحتي) في الشطر الأول، و(فوقي) في الشطر الثاني، وقد احتاط بهما الشاعر لمعنى نصي هو: إصراره مع محبوبته على إعلان حبهما، وهذا النوع من التضاد سماه الدكتور أحمد مختار عمر: التضاد الاتجاهي أو العمودي[4].

([1]) الديوان، ص ٣٩.
([2]) الديوان، ص ٤١.
([3]) د. محمد خليل الخلايلة، بنية اللغة الشعرية عند الهذليين، ص ١٢٢ وما بعدها، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠٠٤م.
([4]) ينظر: د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ١٠٢، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

وأخلص من هذا العرض لإحدى صور الاحتياط للمعنى في شعر عنترة إلى القول: بأنَّ هذه الصورة من صور الاحتياط للمعنى قد شاعت في شعر عنترة أكثر من غيرها، ولعل السبب في ذلك يكمن من ارتباطها بحالة الشاعر النفسية التي تتآزر فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل، ولم يكن سوق الشاعر للتراكيب المتضادة في أشعاره لمجرد إقامة وزن وقافية، ولكنه كان على وعيٍ تامٍ بقيمة هذه التراكيب دلاليًا، فاستطاع بذلك أن يُحْسِنَ توظيفها على مستوى الكلمة والجملة داخل القصيدة.

٥ – الاحتياط للمعنى النصي باستخدام الحروف المؤكدة:

من المسائل اللغوية اللافتة للنظر كثرة استعمال الحروف المؤكدة في شعر عنترة احتياطاً للمعنى النصي، ومن هذه الحروف: إنَّ، وأنَّ، وقدْ، ولقَدْ، ونون التوكيد الخفيفة، ونون التوكيد الثقيلة، ويمكن العرض لاستعمال هذه الأدوات على النحو التالي:

أ – التوكيد باستعمال (إنَّ) و (أنَّ) احتياطًا للمعنى النصي:

من صور الاحتياط للمعنى النصي التوكيد باستعمال إنَّ، وذلك في قول عنترة[١]:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنِّي السَّمَاحَةُ وَالنَّدَى وَالْبَأْسُ أَخْلاقٌ أَصَبْتُ لُبَابَهَا

فاستعمل الشاعر (إنَّ) المؤكدة في مطلع البيت محتاطاً بها لمعنى نصي يريده وهو: إثبات صفات السماحة والكرم، وشدة البأس، وقد كان باستطاعة الشاعر أن يقيم وزن بيته بكلمة أخرى، فيقول (مثلا) أنا امرؤٌ... لكنَّ هذا الاستعمال لن يؤدي المعنى المراد له كما يؤديه باستعمال (إنَّ) المؤكدة المضافة إلى ضمير المتكلم، ومعلوم أنَّ حرف التوكيد (إنَّ) المكسور الهمزة له صدر الجملة، ووظيفته تثبيت الحكم حين يكون المخاطب طالباً ذلك، فإن كان طلبه أشد بأن كان حاكمًا بخلاف ما في نفس المتكلم، قويت (إن) بمؤكد آخر، وهو اللام المؤكدة، أو اللام ولفظ القسم. ومن التوكيد باستخدام القسم و(إنَّ) قول عنترة[٢]:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلا وَنَيْلَ الأَمَانِي وارْتِفَاعَ الْمَرَاتِبِ
لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا بِقَلْبٍ صَبُورٍ عِنْدَ وَقْعِ الْمَضَارِبِ

(١) الديوان، ص ٢٤.

(٢) الديوان، ص٣٧.

فاستعمل الشاعر في البيت الأول أكثر من مؤكد، القسم في قوله (لعمرك) و(إنَّ) مكسورة الهمزة، وذلك احتياطاً لمعنى نصي يريده وهو إثبات صفات المجد والفخر والعلى وارتفاع المرتبة لمن يلتقي أبطال تلك المآثر والمحامد المذكورة بقلب صبور. و(إنَّ) مع القسم لتوكيد معنى الكلام المراد. ومن صور استعمال(إنَّ) احتياطاً للمعن، قول عنترة [1]:

وَإِنِّي الْيَوْمَ أَحْمِي عِرْضَ قَوْمِي وَأَنْصُرُ آلَ عَبْسٍ عَلَى الْعُدَاةِ

فاستعمل (إنَّ) المضافة إلى ضمير المتكلم احتياطاً للمعنى المراد، وهو إثبات شجاعته في حماية أعراض قومه ونصرتهم على عدوهم، وكان باستطاعته أن يعبر عن هذا المعنى بقول آخر يقول فيه: وأنا اليوم... لكن هذه الصورة لا تصل بالمعنى للمتلقي على الوجه الذي أراده الشاعر، وحتى يتمكن المعنى في نفس المتلقي استعمل حرف التوكيد (إنَّ). ومن التوكيد باستعمال (إنَّ) واللام المؤكدة قول عنترة [2]:

وَإِنِّـــي لَحَمَّـــالٌ لِكُـــلِّ مُلِمَّـــةٍ تَخِـرُّ لَهَـا شُـمُّ الْجِبَـالِ وَتُـزْعَجُ
وَإِنِّي لَأَحْمِي الجَارَ مِـنْ كُـلِّ ذَلَّـةٍ وَأَفْـرَحُ بِالـضَّيْفِ الْمُقِـيْمِ وَأَبْهَـجُ

والشاعر في هذين البيتين يفخر بأوصافه، فهو يتحمل الشدائد ويحمي الجار ويفرح بمقدم الضيوف، وهي المعاني التي أراد أن يحتاط لها، فاستعمل لذلك التوكيد بحرف التوكيد (إنَّ)، وكذلك اللام المؤكدة الواقعة في الخبر، وقد دخلت اللام هنا لزيادة التأكيد، وتُؤَخَّرُ عن (إنَّ) في الكلام لضرب من الاستحسان، وهو إرادة الفصل بينها وبين (إنَّ) لاتفاقهما في معنى واحد ألا وهو التأكيد، وكرهوا الجمع بين حرفين بمعنى واحد، ففرقوا بينهما، فهي إما أن تدخل في خبر إنَّ، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النحل:١٨)، أو على اسم إنَّ إذا فُصِلَ بينه وبين إنَّ، وذلك بأن يكون الخبر ظرفًا أو جاراً ومجرورًا، ثم يقدم الاسم، فيجوز دخولها على الاسم، مثل قوله تعالى:

---

(١) الديوان، ص ٣٩.

(٢) الديوان، ص ٤٢.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾(آل عمران: ١٣) [١]. ومن الاحتياط للمعنى باستعمال (إنَّ) قول عنترة[٢]:

لَقَدْ هَانَ عِنْدِي الدَّهْرُ لمَّا عَرَفْتُه وَإِنِّي بِمَا تَأْتِي الْمُلِمَّاتُ أَخْبَرُ

فاستعمل (إنَّ) المؤكدة في صدر الشطر الثاني من البيت محتاطًا بها للمعنى الذي أراده وهو التأكيد على معرفته التامة بملمات الدهر وأحداثه، ومن استعماله لـــ (إنَّ) كذلك قوله [٣]:

يَا عَبْلَ! لا تَخْشَيْ عَلَيَّ مِـنَ الْعِـدَى يَوْماً إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَـيَّ جُمُوعُهَـا
إِنَّ الْمَنِيَّـةَ يَـا عُبَيْلَـةُ دَوْحَـةٌ وَأَنَا وَرُمْحِـي أَصْـلُهَا وَفُرُوعُهَـا

فاستعمل (إنَّ) مكسورة الهمزة في مطلع البيت الثاني للاحتياط لمعنى نصي يريده، وهو التأكيد على عدم خوفه من الموت، فإنْ كان الموت يشبه شجرة، فإنه ورمحه كالأصل والفروع لها، فأتت (إنَّ) موافقة لأصل استعمالها وهو التأكيد، فلا يُحتاج إليها إذا كان المخاطب لا يشك في مضمون الجملة بعدها. ومن مواطن استعمال (إنَّ) في شعر عنترة احتياطاً لمعنى النص قوله [٤]:

بِحَقِّ الْهَوَى لا تَعْذِلُونِي وَأَقْصِرُوا عَنِ اللَّوْمِ إِنَّ اللَّوْمَ لَيْسَ بِنَافِعِ

فقد استعمل الشاعر (إنَّ) في الشطر الثاني من البيت، ويلاحظ على استعمال إنَّ المؤكدة في هذا البيت أن الشاعر قد احتاط بها لمعنى التعليل، فهي علةٌ لما قبلها، وكأنها جوابٌ عن سؤال تضمنته الجملة السابقة لها، فكأن الجملة السابقة مفادها السؤال: لم لا نلومك؟ فكان الجواب: لأن اللوم لا ينفع. " وحسن التوكيد هنا؛ لأن السائل نزل منزلة الذي يشك في الخبر، لذلك أكدت الجملة بـــ (إنَّ)، وعلماء البيان يوجبون هنا الفصل؛ لتنزيل الجملة التي دخلت (إنَّ) عليها مما قبلها منزلة الجزء؛ لأنها قد اشتملت على السؤال عنها، ويسمون هذا شبه كمال الاتصال، أو كمال الاتصال، لتنزيلها بالنسبة إلى ما قبلها منزلة الصفة من الموصوف أو التأكيد مع المؤكد"[٥].

---

(١) د. محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ١٣٢ – ١٣٣.
(٢) الديوان، ص ٧٨.
(٣) الديوان، ص ٩٢.
(٤) الديوان، ص ٩٨.
(٥) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ١٣٤.

ومن شواهد هذه الصورة قول عنترة[1]:

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ

فاستعمل حرف التوكيد (إنَّ) المفيد للتعليل احتياطًا للمعنى النصي الذي يريده، وهو أنه سمح المعاشرة إذا لم يُنل بظلم وذل.

ومن صور استعمال (أنَّ) مفتوحة الهمزة احتياطاً للمعنى النصي قول عنترة [2]:

سَلِ الْمَشْرَفِيَّ الْهُنْدُوانِيَّ فِي يَدِي يُخْبِرُكَ عَنِّي أَنَّنِي أَنَا عَنْتَرُ

فالشاعر في معرض فخره بنفسه، وقد استعمل (أنَّ) المشددة مفتوحة الهمزة في الشطر الثاني من البيت محتاطا بها للمعنى المراد، وهو تأكيد مضمون الجملة وبيان تحققه، وقد جمع النحاة بين (إنَّ) و(أنَّ) وأنهما تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه، إلا أن المكسورة الهمزة تبقى معها الجملة على استقلالها بفائدتها، والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد، ذكر ابن يعيش:" وليست (أنَّ) المفتوحة كذلك (أي ما ذكره من أنها تقع في الصلة ويحسن السكوت عليها) بل تقلب معنى الجملة إلى الإفراد، وتصير في مذهب المصدر المؤكد، ولولا إرادة التوكيد لكان المصدر أحق بالموضع، وكنت تقول: بلغني أن زيدا قائم: بلغني قيام زيد "[3]. وأرى أن التوكيد الواقع في قول عنترة: يخبرك عني أنني أنا عنتر، لا يكمن في استعمال (أنَّ) فحسب، وإنما في تركيب الجملة متضمنا معه (أنَّ).

ومن صور استعمال (أنَّ) مفتوحة الهمزة احتياطا للمعنى النصي قول عنترة [4]:

واسْأَلْ حُذَيْفَةَ حِيْنَ أَرَّشَ بَيْنَنَا حَرْباً ذَوَائِبُهَا بِمَوْتٍ تَخْفُقُ

فَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْتَقَتْ فُرْسَانُنَا بِلِوَى النُّجَيْرَةِ أَنَّ ظَنَّكَ أَحْمَقُ

المعنى هو: أن من يظن أنه سينجو منا بموضع (لوى النجيرة) فظنه أحمق وقد ذهب د. محمد حسين أبو الفتوح إلى أن التأكيد المستفاد في مثل هذه المواضع ليس لاستخدامنا (أنَّ) المفتوحة، وإنما للسياق، لأنها عنده "أداة وصل وواسطة تعبير، تستخدم

---

(1) الديوان، ص ١٦٧.

(2) الديوان، ص٨٠.

(3) ابن يعيش: شرح المفصل، ٨ / ٥٩.

(4) الديوان، ص١٠٦.

لتصنع من الجملة التي لم تكن في تركيبها وهيئتها لتكون مبتدأً أو فاعلاً أو مضافًا إليه، فمثلا: أعجبني محمد قائمًا، لا يصح أن يقال إلا على جعل (قائم) حالاً، فتوصلت اللغة إلى استخدام (أنَّ) واسطة لجعل هذه الجملة فاعلاً، وعلى هذا؛ هذه هي وظيفة (أنَّ) وهي وظيفة لغوية "[1] فهي عنده عملها لغوى وهو الوصل، أما أن تكون للتوكيد فأمر غير وارد. وقد أكد على هذا المعنى بقوله: " ومما يؤيد ذلك – أيضا – أنه يلاحظ من استعمالاتها إذ تجيء بعد أفعال تدل على الظن أو الشك، نحو: ظننت أنك مسافر، فهل نجد في (أنَّ) توكيداً عندما تسبق بما يفيد الظن أو الشك؟!، أعتقد – والله أعلم – أن هناك تعارضًا واضحًا بين الشك والظن، وبين التأكيد..."[2]، وبتطبيق هذا الكلام على بيت عنترة السابق، فيمكن القول: إن (أنَّ) في قوله:(أنَّ ظنك أحمق) حرف صلة، سوَّغَ للفعل (تعلم) طلب الجملة بعده لتكون مفعولاً له، والتأكيد المستفاد في البيت واردٌ من السياق وليس من وجود (أنَّ).

ومن الاحتياط للمعنى النصي بذكر (أنَّ) قول عنترة [3]:

وإنْ عَابَتْ سَوَادِي فَهُو فَخْرِي لَأَنِّي فَارِسٌ مِنْ نَسْلِ حَامِ

فاستعمل الشاعر (أنَّ) في الشطر الثاني من البيت احتياطا لمعنى أراده، وهو التأكيد على شرف أصله، وأن سواد لونه لا يعيبه أبداً، وقد تضافرت في البيت عدة مؤكدات لتأدية الغرض المراد، منها: وقوع جملة جواب الشرط اسمية، واستخدام التعليل (اللام) والتأكيد بـــ (أنَّ).

ومنه كذلك قول عنترة [4]:

لاشَكَّ لِلْمَرْءِ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو خَلَفٍ فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو إِلْفٍ وَمَأْلُوفُ

استعمل الشاعر (أنَّ) في الشطر الأول ليحتاط للمعنى الذي أراده وهو أن الدهر ذو خلف، وقد تضافرت عناصر أخرى مع (أنَّ) لتوكيد هذا المعنى، ومنه قوله: لا

---

(1) د. محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ١٣٩.

(2) السابق، ص ١٣٨.

(3) الديوان، ص ١٨٨.

(4) الديوان، ص١٠٠.

شك، وكذلك إتيانه بمسلمات (تفرق ذو إلف ومألوف)، وهذا يؤكد لنا أن التوكيد المراد مستفاد من سياق البيت كله. ومنه كذلك قول عنترة [1]:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّ يَوْمَ عُرَاعِرٍ شَفَى سَقَماً لَوْ كَانَت النَّفْسُ تَشْتَفِي

فاستعمل (أنَّ) ليؤكد بها معنى يحتاط له، وهو أن يوم عراعر شفى ما كان في قلوبهم من بني حنيفة اليمنيين، ومع ذلك فلهم آمال تطمح نفوسهم إليها وتهتم بها.

ب – التوكيد باستعمال (قد) و(لقد) احتياطًا للمعنى النصي:

(قد) حرف من الحروف التي اختصت بدخولها على الأفعال، وهي كالجزء من الفعل لا تنفصل عنه إلا بالقسم، وقد وردت دلالة الحرف (قد) على التأكيد من حيث إنه حرف لا يفارقه التحقيق، ففي أي استعمال ترد فيه تدل على أن ما بعدها في حكم المتحقق منه لدى المتحدث. فهي كالجزء من الفعل؛ لأنها تدل على معنى فيه، وهذا المعنى هو: ثبوت الفعل وتحققه، وقد تشير إلى زمن الفعل (وهو الزمن الحالي) وذلك إذا دخلت على الفعل الماضي.

ومن المعلوم في كتب النحو أن(قد) تدخل على الفعل المضارع وحينئذٍ فإنَّها تفيد التقليل، وتدخل على الماضي، فتفيد التحقيق والتقريب، وما بين التقليل والتقريب " مناسبة قوية، وذلك لأنَّ كل تقريب تقليل، فالتقريب فيه تقليل للمسافة، وتقريب الزمن من الحال فيه تقليل للزمن والوقت. وعلى عكس هذا تأتي (قد) وتدل على التكثير، أي تكرر حدوث الفعل بعدها، ولذلك قال بعض العلماء فيها: إن المضارع بعد (قد) هذه بمعنى الماضي؛ لأن تكثير الفعل وتكراره لابد أن يكون في الماضي، إذ كيف يكثر ويتكرر ويكون المضارع بعدها لا يدلُّ على الماضي"[2]. وقد تعددت الأسماء التي أطلقها النحاة على (قد) فهي عند بعضهم حرف تقريب[3].وعند آخرين حرف توقع [4]، وهي أسماء مستنبطة من دلالة (قد) في الكلام الذي ترد فيه.

وقد ورد استعمال (قد) في ديوان عنترة في مواضع كثيرة، منها ما وردت فيه (قد) مع الفعل الماضي وهذه الصورة هي الأكثر استعمالا في شعره، ومن الصور ما

---

(1) الديوان، ص١٠١.
(2) د. محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص ١٦٣ – ١٦٤.
(3) المفصل، ص ٣١٦.
(4) شرح الكافية للرضى، ٤٤٣/٤.

وردت فيه (قد) مستعملة مع الفعل المضارع، وقد تأتى(قد) منفردة، وقد تأتى(قد) مقترنة باللام، ويمكن العرض لبعض من هذه الصور على النحو التالي: قال عنترة [1]:

وَرَنَتْ فَقُلْتُ غَزَالَةٌ مَذْعُورَةٌ قَدْ رَاعَهَا وَسْطَ الْفَلاةِ بَلاءُ

وَبَدَتْ فَقُلْتُ الْبَدْرُ لَيْلَةَ تِمِّهِ قَدْ قَلَّدَتْهُ نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ

فاستعمل الشاعر الحرف(قد) في البيتين السابقين مع الفعل الماضي؛ احتياطاً لمعنى نصيٍّ أراده، وهو في البيت الأول: توقع حدوث بلاء وقع مع محبوبته، وفي البيت الثاني: التأكيد على جمال محبوبته ووضاءتها، والحرف(قد) في البيتين يفيد التوقع؛ أي إن البر متوقع حدوثه، وقد ذكر سيبويه:" قد فعل، كلام لقوم ينتظرون الخبر"[2]. ودلالة التوقع المستفادة من استعمال(قد) في الكلام تختلف باختلاف الفعل المستعمل، فإذا استعملت(قد) مع المضارع فالتوقع يكون من المتكلم، وإذا استعملت مع الماضي فالتوقع يكون من المخاطب، قال أبوحيان:" قد حرف توقع إذا دخلت على مستقبل الزمان، كان التوقع من المتكلم، وإذا كان ماضياً أو فعل حال بمعنى المضي، فالتوقع كان عند السامع، وأما المتكلم فهو موجب ما أخبر به"[3].

وقد يسأل سائل:" إنَّ حقيقة الفعل الماضي يدل على أن الحدث قد وقع، فكيف يُتَوَقَّعُ وقد حدث؟ والجواب: أنَّ معنى التوقع فيه أنَّ (قد) تدل على أنه كان متوقعاً منتظراً، فإذا استعملت فيما يترقب فإنها مؤكدة للفعل بعدها سواء أكان ماضياً أم مضارعاً"[4].

ومن استعمال (قد) في شعر عترة قوله[5]:

قَدْ كُنْتُ فِيْمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ وَالْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمُ كُلَّمَا نُكِبُوا

لله دَرُّ بَنِي عَبْس لَقَدْ نَسَلُوا منَ الْأَكَارم مَا قَدْ تَنْسُلُ الْعَرَبُ

---

(1) الديوان، ص ٢١.

(2) الكتاب،٣٠٧/٢.

(3) أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ١١٠/٤، تحقيق: أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

(4) د. محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص١٦٤ وما بعدها.

(5) الديوان، ص٢٥.

استعمل الشاعر الحرف(قد) في ثلاثة مواضع؛ الأول: مطلع البيت الأول، وقد احتاط بها الشاعر لإفادة معنى التحقيق والتوكيد، واحتاط بها للمعنى نفسه في الشطر الأول من البيت الثاني في قوله: لقد نسلوا، فاستعمل(قد) المقرونة باللام وبعدها الفعل الماضي(نسلوا)، واحتاط بها كذلك في الشطر الثاني من البيت الثاني في قوله: قد تنسل، كل ذلك احتياطاً للمعنى المراد التأكيد عليه وهو: أصالة بني عبس في العرب. وقد ذُكِر أن استعمال(قد) قبل المضارع يصرفه إلى الماضي.[1] ومن استعمال (قد) في شعر عنترة قوله[2]:

لَقَــدْ كُنْــتُمْ فِــي آلِ عَــبْسٍ كَوَاكِبَــاً إِذَا غَابَ مِنْهَــا كَوْكَــبٌ لاحَ كَوْكَــبُ

فاستعمل (قد) المقرونة باللام في مطلع البيت وبعدها الفعل الماضي، وقد احتاط الشاعر بهذا التركيب لمعنى مراد، وهو التأكيد والتقرير لحقيقة كان عليها ابن زياد في آل عبس، وإذا قرأنا البيت دون وجود (قد) استطعنا الوقوف على البون الكبير بين وجودها وعدمها. ونلاحظ في الشواهد السابقة اقتران(قد) بالفعل بعدها مضارعا كان أو ماضياً، وذلك لأنها تدل على معنى في الفعل وعلى زمن من أزمانه، لذا فإنها تصبح كالجزء منه،" وهذا المعنى الذي تدل عليه هو معنى خاص بثبوت وتحقق هذا الفعل، كما أنها تدل – أحياناً–على أحد أزمان الفعل، وهو الزمن الحالي، وذلك إذا دخلت على الفعل الماضي"[3].

ومن استعمال (قد) في شعر عنترة قوله [4]:

يَا حَمَامَ الْغُــصُونِ لَــوْ كُنْــتَ مِثْلِــي عَاشِــقاً لَــمْ يَرُقْــكَ غُــصْنٌ رَطِيْــبُ

فَــاتْرُكِ الوجْــدَ والْهَــوَى لِمُحِــبٍّ قَلْبُــهُ قَــدْ أَذَابَــهُ التَّعْــذِيْبُ

---

(1) ينظر البحر المحيط، ٤/١١٠.

(٢) الديوان، ص٢٦.

(3) د. محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص١٦٣.

(4) الديوان، ص٢٧.

فاستعمل الشاعر(قد) في الشطر الثاني من البيت الثاني وأتى بعدها الفعل الماضي (أذاب) وقد احتاط بذلك لمعنى أراده، وهو التأكيد على انفطار قلبه على محبوبته لدرجة أذابت القلب من كثرة وجده.

ومن مواضع استعمال (قد) في شعر عنترة قوله[١]:

سَـــائِلِي يَـــا عُبَيْـــلَ عنِّـــي خَبِيْـــراً وَشُـــجَاعاً قَـــدْ شَـــيَّبَتْهُ الحُـــرُوبُ

فَـــسَيُنْبِيكِ أَنَّ فِـــي حَـــدِّ سَـــيْفِي مَلَـــكَ الْمَـــوْتِ حَاضِـــرٌ لَـــا يَغِيـــبُ

فاستعمل (قد) المقرونة بالفعل الماضي (شيب) احتياطًا لمعنى يريده وهو التأكيد على شجاعته في الحروب، وقد دلَّ سياق البيت التالي على هذا المعنى وساهم في إبرازه.

ومن الاحتياط للمعنى النصي باستعمال (قد) المقرونة بلام الابتداء قول عنترة[٢]:

وَلَقَدْ نَـــاحَ فِـــي الْغُـــصُونِ حَمَـــامٌ فَـــشَجَانِي حَنِينُـــهُ وَالنَّحِيْـــبُ

بَـــاتَ يَـــشْكُو فِـــرَاقَ إِلْـــفٍ بَعِيْـــدٍ وَيُنَـــادِى أَنَـــا الْوَحِيْـــدُ الْغَرِيْـــبُ

فاستعمل الشاعر (قد) المقرونة بلام الابتداء في صدر البيت الأول، وأتى بعدها الفعل الماضي (ناح) احتياطًا لمعنى يريده، وهو تأكيد إثارة شجون الشاعر بمجرد سماعه لصوت الحمام على الأغصان، ويلاحظ أنَّ لام الابتداء دخلت على (قد) المقترنة بالفعل الماضي المتصرف، وذلك لأنَّ هذه اللام لا تدخل بنفسها على الماضي المتصرف، فإذا أردنا تأكيد الفعل باللام المؤكدة سبقت هذه اللام بحرف (قد)؛ وذلك لأن (قد) تقرب الفعل الماضي من دلالة الحال، وحينئذ يشبه المضارع، بالإضافة إلى تناسب معنى اللام، وقد، ففي اللام معنى التوكيد، وفى (قد) معنى التحقيق والتوكيد[٣].

---

(١)الديوان ، ص٢٧.

(٢) السابق، نفسه.

(٣) ينظر: الرضى، شرح الكافية، ٣١٠/٤.

ومن استعمال (قد) احتياطًا للمعنى في ديوان عنترة قوله [1]:

وَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ الْعَلْيَاءِ مَنْزِلَةً بِصَارِمِي لا بِأُمِّي لا وَلا بِأَبِي

فدخلت (قد) على الفعل الماضي (طلب) في صدر البيت الأول احتياطًا للمعنى المراد، وهو التأكيد على أن منزلته التي ارتقى إليها لم تكن بالانتساب إلى أمه أو إلى أبيه، وإنما كانت بساعده وسيفه، ومثله في تأكيد المعن، قول عنترة [2]:

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الأَعَادِي بِأَقْحَافِ الرُّؤوسِ وَمَا رَوِيتُ

فدخلت (قد) على الماضي (شرب) احتياطا لمعنى أراده وهو: تأكيد نصرته على عدوه وشربه من دمائهم، ومنه كذلك قوله [3]:

لَقَدْ عَادَيْتَ يَا ابْنَ الْعَمِّ لَيْثاً شُجَاعاً لَا يَمَلُّ مِنَ الطِّرَادِ

فاستعمل الشاعر (قد) المقرونة بلام التوكيد، احتياطًا للمعنى المراد، وهو التأكيد على شجاعته، وأنه لا يملُّ من الهجوم على الأعداء، ويشبه نفسه في هذا المعنى بالليث الذي لا يملُّ من مطاردة أعدائه.

ومنه كذلك قول عنترة [4]:

قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ عَنْ عُرُضٍ تَصْفَرُّ كفُّ أَخِيهَا وهُو مَنْزُوفُ

فاستعمل (قد) وبعدها الفعل المضارع (أطعن)، احتياطًا للمعنى الذي أراده الشاعر، وهو أن الطعن فعله ودأبه على الدوام، ويمكن الاستدلال بهذا البيت على أن (قد) مع المضارع تفيد التحقيق، وهي حينئذٍ تجعل معنى المضارع ماضيًا. ومنه كذلك قوله [5]:

وَلَقَدْ أَبِيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

فاستعمل (قد) المسبوقة بلام التوكيد، وبعدها الفعل المضارع، احتياطا للمعنى المراد، وهو التأكيد على صبره على الجوع حتى ينال كريم المأكل. ودخول (قد) على

---

(1) الديوان، ص٣٦.

(2) الديوان، ص٣٨.

(3) السابق، ص ٥٨.

(4) الديوان، ص١٠٠.

(5) الديوان، ص١٢٧.

المضارع هنا يفيد التحقيق والتأكيد للمعنى المراد. ومن الاحتياط للمعنى باستعمال (قد) قول عنترة [1]:

خُلِقْتُ مِنَ الْجِبَالِ أَشَدَّ قَلْباً وَقَدْ تَفْنَى الْجِبَالُ وَلَسْتُ أَفْنَى

فاستعمل (قد) في الشطر الثاني من البيت، وبعدها المضارع (تفنى) احتياطًا للمعنى المراد، وهو التأكيد على قوته وشجاعته، ودخول (قد) على المضارع هنا يفيد التقليل.

ويلاحظ على استعمال (قد) في ديوان عنترة ما يلي:

- تأتي (قد) وبعدها الفعل الماضي، وهذه الصورة أكثر الصور دورانًا في الديوان، والفعل الماضي بعدها كان متصرفا غير جامد، ووقوع (قد) مع الفعل الماضي يفيد التحقيق، والتقريب، والتأكيد.
- قد تقترن (قد) بلام التوكيد في بعض المواضع ولم تفد معنى أكثر مما تفيده (قد) من التأكيد والتحقيق.
- وردت (قد) وبعدها الفعل المضارع في مواضع قليلة بالديوان، وهي حينئذ تفيد: التأكيد والتوقع، والتقليل. وقد تقترن قد مع المضارع باللام.
- تنوعت أماكن ورود (قد) في الديوان، فقد تأتي في صدر جملة فعلية لتأكيدها، وقد تأتي في صدر جملة الصفة، وقد تأتي في صدر جملة في محل رفع خبر، وهي صور ذكرها النحاة في كتبهم. أما الصورة التي ذكرها النحاة ولم أقف لها على شاهد في ديوان عنترة، فهي وقوع (قد) في صدر جملة جواب الشرط مقترنة بالفاء.

(ج) التوكيد باستعمال نوني لتوكيد (الخفيفة والثقيلة)؛ احتياطاً للمعنى النصي:

نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة من حروف المعاني التي تستعمل في العربية لتوكيد المعنى، واستعمالهما يغني عن تكرار الفعل المضارع أو الأمر إذا أريد توكيدهما. ويؤكد بهما كل ما فيه معنى الطلب؛ لذلك لا يجوز دخولهما على الفعل الماضي؛ لخلوه من معنى الطلب، وكذلك لا يؤكد بهما المضارع الدال على الحال؛ إذ

([1]) الديوان، ص١٩٥، وللاطلاع على مواضع أكثر لاستعمال (قد) في الديوان، ينظر الصفحات: ٢٨، ٣٣، ٣٥، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ... إلخ.

لا يؤكد الفعل وقت حدوثه، فالطلب يعني وقوع الفعل في المستقبل، ذكر ابن جني: "باب النونين، وهما خفيفة وثقيلة، والثقيلة أشدُّ توكيداً من الخفيفة، والفعل قبلهما مبني على الفتح معهما"[1]. وقد ورد التوكيد بالنون خفيفة أو ثقيلة في ديوان عنترة في مواضع قليلة يمكن العرض لها على النحو التالي: قال عنترة [2]:

مَـــا زِلْـــتُ مُرْتَقِيـــاً إِلَـــى الْعَلْيَـــاءِ حَتَّـــى بَلَغْـــتُ إِلَـــى ذُرَى الجَـــوْزَاءِ

فَهُنَـــاكَ لا أَلْـــوِي عَلَـــى مَـــنْ لامَنِـــي خَـــوْفَ الْمَمَـــاتِ وَفُرْقَـــةِ الأَحْيَـــاءِ

فَلأُغْـــضِبَنَّ عَـــوَاذِلِي وَحَوَاسِـــدِي وَلَأَصْـــبِرَنَّ عَلَـــى قِلًـــى وَجَـــوَاءِ

وَلَأَجْهَـــدَنَّ عَلَـــى اللِّقَـــاءِ لِكَـــيْ أَرِى مَـــا أَرْتَجِيـــهِ أَوْ يَحِـــينَ قَـــضَائِي

وَلَـــأَحْمِيَنَّ الـــنَّفْسَ عَـــنْ شَـــهَوَاتِهَا حَتَّـــــى أَرَى ذَا ذِمَّـــــةٍ وَوَفَـــــاءِ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن تطلعه الدائم لمعالي الأمور وأنها دأبه، وفي سبيلها لا يخشى الموت، وكي يؤكد هذا المعنى ويحتاط له فقد أتى بأفعال مضارعة أكدت بالنون الثقيلة، وهي: (لأغضبن)، و(لأصبرن)، و(لأجهدن)، و(لأحمين). واستعمال الشاعر لنون التوكيد الثقيلة دون الخفيفة لزيادة التأكيد والاحتياط للمعنى المراد، وكان بإمكانه أن يأتي بهذه الأفعال دون تأكيدها، لكنه لما كان يريد أن يوصل معنى معينا للمخاطب فقد أكدها بالنون، وزاد في تأكيدها بأن جعلها نوناً ثقيلة. ويلاحظ أن المضارع مع نون التوكيد الثقيلة ورد مبنيا على الفتح، ولما كانت الأفعال الواردة في الأبيات المسندة إلى نون التوكيد متنوعة؛ فمنها الصحيح ومنها المعتل، فيمكن القول: إن الصحيح منها ورد مسندا إلى المفرد غير متصل بضمير في آخره، ومن ثم ورد مفتوح الآخر عند إسناده إلى نون التوكيد الثقيلة، وذلك مع الأفعال(

([1]) ابن جني: اللمع في العربية، ص١٣٢، تحقيق: سامح أبو مغلي، دار مجد لاوي للنشر، عمان، ١٩٨٨م.

([2]) الديوان، ص٢٢.

أغضب)، و(أصبر)، و(أجهد)، أما مع الفعل (أحمي) المعتل الآخر بالياء، فقد بقيت الياء على حالها وحركت بالفتح عند إسناد الفعل إلى نون التوكيد الثقيلة.

ومن استعماله لنون التوكيد الثقيلة احتياطاً للمعنى قوله [1]:

قَلَّ صَبْرِي عَلَى فِرَاقِ غَضُوبِ وَهُوَ قَدْ كَانَ عُدَّتِي وَاعْتِمَادِي

وَكَذا عُرْوَةَ وَمَيْسَرَةَ حَا مِي حِمَانَا عِنْدَ اصْطِدَامِ الْجِيَادِ

لأَفُكَّنَّ أَسْرَهُم عَنْ قَرِيبٍ مِنْ أَيَادِي الأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ

ففي البيت الثالث استعمل الشاعر النون المشددة لتوكيد الفعل(أفك) المضارع، وقد احتاط الشاعر بتوكيد الفعل هنا لمعنى أراده، وهو سعيه الدائم وتأكيده على فك أسر عروة وميسرة. وقد اتصلت نون التوكيد الثقيلة بالفعل المضارع الصحيح الآخر المسند إلى الواحد، غير المتصل بالضمير، ومن ثم فقد فُتِحَ آخره؛ وذلك لئلا يلتبس المذكر بالمؤنث.

ومن استعمال المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة احتياطاً للمعنى قول عنترة [2]:

مَا سَاءَنِي لَوْنِي وَاسْمُ زَبِيْبَةٍ إِذْ قَصَّرَتْ عَنْ هِمَّتِي أَعْدَائِي

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَصْنَعَنَّ عَجَائِباً وَلأُبْكِمَنَّ بَلاغَةَ الْفُصَحَاءِ

فقد أكد الشاعر الفعل المضارع (أبكم) في صدر الشطر الثاني من البيت الثاني بنون التوكيد الثقيلة؛ احتياطاً للمعنى الذي يريد الوصول إليه، وهو أن لونه الأسود، واسم أمه زبيبة لا يعيبانه، فهو صانع العجائب عند ملاقاة الأعداء، ومُصيب البلغاء بالبكم عند محاورتهم، وهذان هما مجالا التفاخر، من أجل ذلك أكد الفعلين(أصنع)، و(أبكم) احتياطاً للمعنى المراد، وقد أسندت نون التوكيد الثقيلة في الموضعين لفعلين صحيحين مسندين للواحد غير متصل بهما ضمير، ومن ثمَّ أتى آخرهما مفتوحاً.

---

(1) الديوان، ص٦٠.

(2) الديوان، ص٢٢.

ومن الاحتياط للمعنى النصي باستعمال نون التوكيد الثقيلة كذلك قول عنترة(١):

واسْأَلْ حُذَيْفَةَ حِينَ أَرَّشَ بَيْنَنَا حَرْباً ذَوَائِبُهَا بِمَوْتٍ تَخْفُقُ

فَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْتَقَتْ فُرْسَانُنَا بِلِوَى النُّجَيْرَةِ أَنَّ ظَنَّكَ أَحْمَقُ

فاستعمل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة(تعلمن) احتياطا للمعنى الذي يؤيده وتأكيدا له، وهو أنهم إذا التقت فرسانهم بلمى النجيرة ظهر عنترة عليهم وأذاقهم كأس الهزيمة، وسيثبت لعدوه أن ظنه في الظفر بعنترة طن أحمق. وقد اتصلت نون التوكيد الثقيلة بالفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الخفيفة قول عنترة (٢):

نَحَا فَارِسُ الشَّهْبَاءِ والْخَيْلُ جُنَّحٌ عَلَى فَارِسٍ بَيْنَ الأَسِنَّةِ مُقْصَدِ

وَلَولا يَدٌ نَالَتْهُ مِنَّا لأَصْبَحَتْ سِبَاعٌ تَهَادَى شِلْوَهُ غَيْرَ مُسْنَدِ

فَلا تَكْفُرِ النُّعْمَى وَأَثْنِ بِفَضْلِهَا وَلا تَأْمَنَنْ مَا يُحْدِثُ اللهَ فِي غَدِ

فأكد المضارع الصحيح (تأمن) في البيت الثالث بنون التوكيد الخفيفة، احتياطا للمعنى المراد وهو التأكيد على من يخاطبه بهذه الأبيات، وهو (دريد بن الصمة) الا يكفر إنعامهم عليه عند لقائه بهم، فربما كان لقاء فتمكنوا منه وعاقبوه. وقد اتصلت نون التوكيد الخفيفة بالمضارع الصحيح المسند للواحد، غير المتصل بالضمير، ومن ثم فتح آخره.

ويلاحظ على استعمال نوني التوكيد في ديوان عنترة ما يلي:

- مواضع استعمالهما قليلة إذا قورنت بالمؤكدات الأخرى.
- استعمال نون التوكيد الثقيلة أكثر من استعمال الخفيفة في الديوان.
- لم تتعدد صور استعمال المضارع المؤكد بالنون الثقيلة أو الخفيفة في الديوان، وإنما ورد في نمطين، وهما: المضارع الصحيح المسند إلى نون التوكيد الخفيفة

---

(١) الديوان، ص١٠٦. وأرَّشَ: هيج الحرب، والذوائب: الرايات.

(٢) الديوان، ص٦٧-٦٨.

أو الثقيلة، أو المضارع المعتل الآخر بالياء المسند إلى نون التوكيد الثقيلة، ولم يسند أي منهما إلى ضمير، ومن ثم كان آخر الفعل مفتوحا.

د. الاحتياط للمعنى (عن طريق زيادة حرف الباء؛ قصداً للتوكيد:

من أنماط الاحتياط للمعنى التي وردت في ديوان عنترة ورود حرف الباء زائداً للتوكيد ومن ذلك قوله [1]:

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ

وردت الباء زائدة في قول الشاعر (بأن أموت)، ومن علامة زيادة الباء في هذا الموضع أن سقوطها لا يخلُّ بالمعنى، قال سيبويه: " الباء دخلت على شيءٍ لو لم تدخل عليه لم يخل بالمعنى ولم يحتج إليها... ألا ترى أنهم يقولون: حسبك هذا، وبحسبك هذا، فلم تغير الباء معنىً، وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء، لأنَّ بحسبك في موضع ابتداء "[2].

وليس معنى زيادة الباء هنا أنها وردت لغير معنى، ولكن وردت زائدة توكيدا للمعنى الذي أراده الشاعر، وهو خوفه من أنْ يلقى الموت قبل أن يلاقي ابني ضمضم في المعركة ويدير عليهما الدائرة. وذكر ابن الأنباري هذا البيت معلقاً على مجيء الباء زائدة، قائلا: " وهي – أي: الباء – مؤكدةٌ للكلام، لأنَّ سقوطها لا يخل بالمعنى، ألا ترى أنك لو قلت: خشيت أن أموت، كان سائغا حسنا، والحرف الزائد إنما جيء به توكيدا للكلام "[3]، فالباء وإن كانت زائدة إلا أنَّ الشاعر احتاط بها لتوكيد المعنى الذي يريده؛ وهو الخوف من الموت قبل مواجهة ابني ضمضم. وقال ابن هشام: " الباء في: بأن أموت: زائدة "[4].

ومن الأبيات التي وردت فيها الباء زائدة، قول عنترة [5]:

أَلَسْتَ بِصَاحِبِي يَوْمَ الْتَقَيْنَا بِسَيفٍ وَصَاحِبِي يَوْمَ الْكَثِيبِ

---

(1) الديوان، ص ١٨٦.

(2) الكتاب، ٦٧/١ – ٦٨.

(3) شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٦٣.

(4) مغني اللبيب، ١١٢/١ – ١١٦.

(5) الديوان، ص٣٣.

فحرف الجر الباء في قوله (بصاحبي) زائد للتوكيد، وقد احتاط بزيادة الباء للمعنى الذي يرمي إليه، وهو إثبات مصاحبته لسيفه في الموضعين المذكورين في البيت، وهما: (يوم اللقاء بمكان اسمه سيف)، و (يوم الكثيب).

ومن ذلك أيضًا قوله [1]:

وَمَا هَذِه الدُّنْيَا لَنَا بِمُطِيْعَةٍ وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنْ مُدَارَاتِهَا بُدُّ.

فقد ورد حرف الجر (الباء) زائداً في قول الشاعر (بمطيعة)، وغرضه التوكيد للمعنى المراد من الشاعر، فهو يريد أن يخبر أنَّ الدنيا غير مطيعة للإنسان، ولإثبات عدم طاعتها واحتياجه للاحتياط لهذا المعنى أتى بحرف الجر الباء الزائد للتوكيد. ومنه أيضًا قول عنترة[2]:

وَلَسْتُ بِبَاكٍ إنْ أَتَتْنِي مَنِيَّتِي وَلَكِنَّنِي أَهْفُو فَتَجْرِي مَدَامِعِي

فقد ورد حرف الجر الباء زائدا في قول الشاعر (بباك) وزيادته للتأكيد، وقد احتاط الشاعر بحرف الجر الزائد للمعنى الذي يريد إثباته؛ وهو أن بكاءه ليس بسبب خوفه من الموت وإنما يبكي لكثرة أخطائه وزلاته، ولما كان الأمر كذلك فقد احتاط لما يريده بزيادة حرف الجر في خبر ليس.

ومنه كذلك قوله في البيت التالي لهذا البيت [3]:

وَلَيْسَ بِفَخْرٍ وَصْفُ بَأْسِي وَشِدَّتِي وَقَدْ شَاعَ ذِكْرِي فِي جَمِيعِ الْمَجَامِعِ

فورد حرف الجر الباء زائدا في قوله (بفخر) لتوكيد المعنى المراد؛ وهو أن وصف قوته وشدته ليس فخرًا له، لأن ذكره شاع في كل مكان، وقد احتاط لهذا المعنى وأكَّده بحرف الجر الزائد (الباء) في خبر (ليس).

---

(1) الديوان، ص٥٥.

(2) الديوان، ص ٩٨.

(3) الديوان، ص ٩٨.

خاتمة البحث:

اهتم عنترة بن شداد في شعره بتصوير حالته النفسية والظلم الواقع عليه من قبيلته ورغبته الملحة في التخلص من ذل العبودية، كما اهتم بإبراز معاني القوة والفروسية والمروءة، وهو في سبيل إبراز هذه المعاني والتأكيد عليها استعمل وسائل احتياط لغوية متنوعة، منها: وضع الظاهر موضع المضمر، وقد تعددت أهدافه في استعمال الظاهر موضع المضمر في شعره؛ فمنها: ما جاء للتفخيم والتعظيم، وما جاء للتهديد والتخويف، وما جاء لإزالة اللبس، وما جاء للتلذذ بذكر المظهر، ... وغير ذلك. وقد احتاط للمعنى أيضاً بالنص على الوجه الإعرابي، وقد تنوعت صوره؛ فمنها حذف المبتدأ أو الخبر، ومنها ذكر البدل المطابق، أو ذكر الحال مفرداً كان أو جملة، ... وغير ذلك من الصور التي وردت في ثنايا البحث. واحتاط للمعنى أيضاً بأساليب توكيد متعددة؛ منها: الاحتياط للمعنى بالتوكيد المعنوي، الاحتياط للمعنى بالتوكيد اللفظي، الاحتياط للمعنى باستعمال حروف التوكيد، نحو: إنَّ، وأنَّ، وقد، ولقد، ونون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة، ... وغير ذلك من الصور التي وردت بالديوان.

وقد استبان للباحث من خلال تحليل النصوص الشعرية المختلفة في ديوان عنترة أن الإعراب عنده لم يكن مجرد علامة إعرابية تتغير بتغير أواخر الكلمات؛ لكنه مرتبط عنده بالمعنى، فبعض التراكيب لا يتوصل إلى إعرابها إلا بالوقوف على المعنى. كما تتبن لي أن الشاعر كان على وعيٍ تام بالمعنى التي يريدها، وقد احتاط لهذه المعاني وسائل متعددة.

كما يمكن القول: إن الاحتياط للمعنى النصي في شعر عنترة لم يكن لمجرد خدمة وزن عروضي أو ضبط قافية قصيدة شعرية، وإنما كان الاحتياط خدمة للمعنى المراد وهو في سبيل تحقيق ذلك نجح في توظيف القرائن مقالية كانت أو مقامية. وقد شكلت وسائل الاحتياط المتنوعة في ديوان عنترة صورة متكاملة تهدف إلى التأكيد على المعاني التي أرادها، والرؤية التي رغب في تشكيلها.

ولما كان الشاعر قد قصد قصداً إلى ظاهرة الاحتياط للمعنى مستخدماً وسائل متعددة فيمكن القول: الإتيان بالكلمات والجمل المركبة في ديوان عنترة لم يكن مجرد قوالب متراصة لا يربطها رابط، وإنما أتى بها الشاعر لأداء معان مقصودة، فالاحتياط

عنده بوسائله المختلفة يعد من خصائص لغة شعره. كما أنه أسلوب منهجي سلكه الشاعر للكشف عن المعاني التي يهدف إليها ويرمي إلى تحقيقها.

المراجع

د. أحمد عفيفي، نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

الأزهري: خالد بن عبد الله(ت:٩٠٥هـ)، شرح التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

الأستراباذي: رضى الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٨هـ)، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ط٢، ١٩٩٦م.

الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد(ت:٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٤، ١٣٨٠هـ.

ابن الأنباري: أبو بكر محمد القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٢.

الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف، تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

البغدادي: عبد القادر بن عمر(ت:١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

د.تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١، ١٩٨٣م.

التبريزي، زكريا يحيى بن علي (ت ٥٢٠هـ): شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

د. جابر عصفور، مفهوم الشعر " دراسة في التراث النقدي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

الجرجاني: أبوبكر عبد القاهر بن محمد بن عبدالرحمن(ت:٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، وجدة، ط٣، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م.

الحضرمي: محمد بن إبراهيم بن محمد، مشكل إعراب الأشعار الستة الجاهلية، القسم السادس، ديوان عنترة، تحقيق: على الهروط، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

د. رئيف خورى، الأدب المسئول، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨م.

د. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية.

روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن عمر(ت:٥٣٨هـ)، المفصل في علم العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

ابن السراج: أبو بكر محمد بن سهل (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد المحسن الفتلي، مطبعة النعمان، العراق، ط١، ١٩٧٣م.

د. السيد عبد السميع حسونة، ابنية التضاد في شعر عنترة بن شداد، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (٤)، العدد (٢)، يوليو ٢٠١١م، رجب ١٤٣٢هـ.

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان(ت:١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ -١٩٩٨م.

الشنتمري: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى(ت:٤٧٦هـ)، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

الصبان: محمد بن على (ت١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: د. طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

د. عاصم محمد أمين، لغة التضاد في شعر أمل ونقل، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م.

عباس حسن، النحو الوافي، النحو الوافي، دار المعارف المصرية، القاهرة.

د. عبد العزيز أبو عبد الله: المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، منشورات الكتاب والتوزيع، ليبيا، طرابلس، ط١، ١٩٨٢م.

د. عبد الله عنبر، النحو مفتاح لاكتناه عالم التخفي النصي عبر مزايا التجلي، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، الجزء الثاني والثلاثون، العدد الثاني، الأردن، ٢٠٠٥م.

ابن عصفور: على بن مؤمن بن محمد (ت ٦٦٩هـ)، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، د.ن، ١٩٧١م.

ابن عقيل: بهاء الدين عبدالله (ت:٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

د. علي عبد الواحد وافي، في فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٨.

د. علي النجدي ناصف، من قضايا اللغة والنحو، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق د. عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

د. فاضل السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٧م / ١٤٢٨هـ.

ابن قتيبة: محمد بن عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط٢.

القيسي: أبو علي الحسن بن عبد الله، إيضاح شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود العجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

ابن مالك: أبوعبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله(ت:٦٤٥هـ)، ألفية ابن مالك، راجعها: صباح عباس السالم، مكتبة النهضة، بغداد، ١٤٠٤هـ.

د. محمد جعفر: المنتخب من كلام العرب، مطبعة الآداب، العراق، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

د. محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، د.ت.

د. محمد حماسة عبد اللطيف:

- بناء الجملة العربية، دار الشروق، القاهرة، ط١ ،١٩٩٠م.
- فتنة النص (بحوث ودراسات)، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- اللغة وبناء الشعر، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، دار الشروق، ٢٠٠٠م.

د. محمد خليل الخلايلة، بنية اللغة الشعرية عند الهذليين، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠٠٤م.

د. محمد سعيد صالح الغامدي: العلاقة بين المعنى والإعراب في الدرس النحوي، مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية.

د. محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٧م.

د. محمد فتوح أحمد، جدليات النص، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني والعشرون، العددان الثالث والرابع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.

د. مراد حميد عبد الله، من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، الجزء الخامس، ٢٠١٠م.

ابن منظور: جمال الدين محمد مكرم: الأنصاري(ت:٧١١هـ)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م.

د. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقدٌ وتوجيهٌ، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

ابن هشام: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)،

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطابع العصرية، بيروت، ١٩٩٤م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق.

ابن يعيش: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت: ٦٤٣ هـ)، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.